مكتبة الفنون الدرامية

(١٧)

مكتبة الفنون الدرامية (١٧)

الحضيض

مسرحية

فى أربعة فصول

للكاتب الروسى

ماكسيم جوركى

ترجمة

عبد الحليم البشلاوى

سبتمبر ١٩٦٢

تصدرها
مكتبة مصر

يحررها
عبد الحليم البشلاوى

مكتبة الفنون الدرامية

القصد من هذه المكتبة أن تسد ما بالمكتبة العربية من فراغ كبير . **فهى تستهدف ترجمة** روائع المسرحيات العالمية ، وكل ما يتصل بالفنون الدرامية والاذاعية من تمثيل وكتابة واخراج. ولعل هذا هو اول مجهود منظم يبذل فى هذا السبيل .

صدر الكتاب الأول
فى اكتوبر ١٩٥٨

الناشر

مكتبة مصر

٣ شارع كامل صدقى - الفجالة - القاهرة

The Lower Depths

by

MAXIM GORKY

كتب تصــدر تبــاعاً :

السينما آلة وفن

للكاتب الأمريكى : ألبرت فولتون

الابن الضــال

للكاتب الأمريكى : چاك رتشاردسون

راشــومون

للــكاتب اليابانى : أكوتاجاوا

ابسن النرويجى

للكاتبة الانجليزية : م . برادبروك

صدر من هذه المكتبة :

١ ـ **الاحرار**

للكاتب الأمريكى : سدنى كنجزلى

٢ ـ **الرجل العجوز**

للكاتب الروسى : ماكسيم جوركى

٣ ـ **بيت الدمية**

للكاتب النرويجى : هنريك ابسن

٤ ـ **الينبوع**

للكاتب الأمريكى : يوجين اونيل

٥ ـ **قطة على سطح من الصفيح الساخن**

للكاتب الأمريكى : تنيسى وليامز

٦ ـ **الشائعة**

للكاتب الانجليزى : تشارلز مونرو

٧ ـ **عيوب التاليف المسرحى**

للناقد الأمريكى : وولتر كير

٨ ـ **ثلاث تمثيليات للتليفزيون**

للكاتب الأمريكى : بادى تشايفسكى

٩ ـ **مسرحية فى القصر**

للكاتب المجرى : فيرينك مولنار

١٠ ـ الأب ومس چوليا

للكاتب السويدى : أوجست سترندبرج

١١ ـ صيف ودخان

للكاتب الأمريكى : تنيسى وليامز

١٢ ـ الزواج

للكاتب الأيرلندى : چورچ برنارد شو

١٣ ـ الحارس

للكاتب الانجليزى : هارولد پنتر

١٤ ـ ميراث الريح

للكاتبين الأمريكيين : چيروم لورنس و روبرت لى

١٥ ـ الاتصال بالجماهير

للكاتب الأمريكى : اريك بارنو

١٦ ـ البطة البرية

للكاتب النرويجى : هنريك ابسن

١٧ ـ الحضيض

للكاتب الروسي : ماكسيم جوركي

هذه المسرحية

بقلم : عبد الحليم البشلاوى

لم يكن الا طفلا فى الثامنة من عمره عندما رأى زوج أمه ينهال بالضرب على أمه التى كان السل ينهش من صدرها الحنايا والضلوع ، والتى لم يكن بها من الرمق ما يمكنها من الدفاع عن نفسها ، وقد تكأكأت وتقوس ظهرها تضرع الى الله أن يبعث اليها ملاك الموت منقذاً رحيماً من جحيم البشر . لم يكن الا طفلا فى الثامنة من عمره . ولكن المنظر كان من البشاعة والقسوة بحيث استفز ذلك الطفل المسكين فاندفع وفى يده سكين نحو ذلك الرجل الذى كان يعذب أمه المحتضرة محاولا تخليصها من قبضته . ولكن هل كانت تلك الحياة البائسة قاصرة على البيت الذى كان يؤوى ذلك الطفل ؟ لقد مضت الحياة بذلك الطفل وساقته سوقاً أليماً ليهيم على وجهه فى أنحاء روسيا ويبلو ما كان يبلوه سواد الشعب الروسى من املاق وفاقة ومسغبة ، وما كان يجرعه من كئوس المر والحنظل والعيش الذليل . مارس مهناً شتى وضيعة ، وانخرط فى سلك العمال تارة والحجاج أخرى . وبين الآن والآن كان ينضم الى جيش المتعطلين المتشردين الذين لم يكونوا يجدون المأوى أو ما يمسك الرمق . فى كل مراحل حياته ، وأيان ذهب ، كان يشهد

بشراً يسامون الخسف والعسف والهوان ، ويعيشون عيشة خيراً منها عيشة البهائم والكلاب. كان يرى بشراً يعيشون وهم عاجزون عن أن يدركوا الحكمة من حياتهم . وكان يرى النساء تهان وتضرب وتضطر الى العمل ساعات طوالا . ومن ناحية أخرى كان طغيان القياصرة وزبانيتهم شديد الوطأة لا ينفصم له قيد . فساد يستشرى فى كل مكان . فساد بكل أنواعه وموبقاته : تهتك واستهتار ورشوة ، وغش وعربدة وبذخ ، وفسق وميسر ، وخيانة وخنوع ونفاق . قصور وبساتين وحدائق لا يدرك البصر مداها ، واستمتاع بكل أطايب الحياة وملذاتها ، وانغماس فى كل شهواتها . مزارع وضياع شاسعة يرثها السعيد الحظ فيرث الأرض ومن عليها . يرث « رقيق الأرض » الذين ان هم جرؤوا ففروا من استعباد المالك ، لما وجدوا من يقبلهم للعمل فى مزارعه . والملايين الضائعة لا نصير لها ولا معين . الجماهير الجائعة لا رجاء لها ولا أمل . يثور الشعب فيحصده رصاص الجيش . ويغتال القيصر فيخلفه قيصر آخر تحميه حراب الجيش . فما عسى أن يفعل الشعب وهو يواجه القيصر والجيش معاً ؟ أى نوع من الحياة هذا ؟ حياة هى أم جحيم ؟ .

بل هو الدرك الأسفل . هو « **الحضيض** » !

***

هذا هو « **الحضيض** » الذى صوره ماكسيم جوركى فى مسرحيته العظيمة التى بلغت ذروة الشهرة فى دنيا المسرح والدرامة . عشرة أشخاص يعيشون كلهم معاً فى غرفة كئيبة

مظلمة تحت الأرض . عشرة أشخاص من المنبوذين أو ممن يسمون « حثالة » المجتمع ، خليط غريب من أحط الطبقات التى كانت تكوّن الغالبية العظمى للشعب الروسى فى ذلك الحين . ومن بين هؤلاء العشرة امرأة يحتضرها الموت وتلفظ أنفاسها الأخيرة . ويظل شبح الموت الرهيب يخيم على الغرفة طوال الفصلين الأولين الى أن تقضى نحبها . والى هذه المسكينة يأتى الحاج لوكا فيزرع فى نفسها الأمل فى الحياة الآخرة حيث يغفر الله لعباده ذنوبهم ويعوضهم عما قاسوه فى الحياة الدنيا . يأتى هذا الحاج الى ذلك الكهف بفلسفة خاصة هى فلسفة « الكذبة البيضاء » التى ان لم تجد فهى لن تضر . فهو يمنى الناس بالمستقبل ويحضهم على المحبة والتعاون والخير . وهو يذكرنا بشخصية الدكتور « رلنج » فى مسرحية ابسن المعروفة « البطة البرية » . فاذا ماتت هذه المرأة المصدورة عجز زوجها صانع الأقفال « كليش » عن دفع ثمن الكفن ونفقات الدفن فيجد العون من رفاقه فى البؤس والتشرد . وهذا « پپل » شيطان بشرى ، ولص بالوراثة ، يقول عن نفسه « منذ صغرى وأنا أحترف اللصوصية . لم أسمع أحداً ينادينى الا بقوله « ڤاسيا اللص. ڤاسيا بن اللص » . وهذا هو «البارون» لا أحد يدرى على وجه التحقيق من هو ومن أين جاء . ولكنه بالتأكيد يعيش عالة على تلك العاهر الطيبة القلب المتعطشة للحب « ناستيا » ... الى آخر تلك الجماعة التى أذلها الفقر فهى لا تجد العمل ، ومن ثمة لا تجد القوت .

ومن ناحية أخرى نرى فريقاً آخر يتردد على ذلك القبو وان كان لا يسكنه . نرى المالك « كوستليوف » الذى لا يتورع عن

أستنزاف دماء هذه الحثالة البائسة . ونرى زوجته التى تعشق اللص الشاب « پيل » الذى سئم حبها وهام غراماً بأختها « ناتاشا » . وهو غرام سيذيقه حتفه فى النهاية .

***

هذا هو الحضيض الذى يقدمه لنا جوركى فى مسرحيته الخالدة . وهو حضيض لم يستمده من قراءاته ولا من تحرياته واستقصاءاته ، ولا حتى من مشاهداته ، وانما هو حضيض عاش فيه وخبره وبلاه وذاق مرارته وتجرع غصصه . هذه أحداث عاشها الكاتب فعاشت فى ذاكرته . ومن ثم كانت هذه المسرحية التى تمتاز بواقعية من نوع معين . هى **((واقعية قلبية))** نابعة من الاحساس والوجدان والقلب ، فلا نرى فيها الصنعة التى تلتزم الخطة المسرحية والصراع والحبكة وما الى غير ذلك من الأصول الدرامية ، وانما نجد صورة أو قطاعاً من الحياة يعرض علينا دون تزويق أو تنميق . لا نجد هنا **((الواقعية العقلية))** التى جاء بها كاتب النرويج العظيم « ابسن » عندما جعل « نورا » تختتم مسرحية « بيت الدمية » بمغادرتها البيت لأن زوجها لم يكن يعاملها معاملة الند للند ولم يكن يعترف لها بأية حقوق كأم وزوجة وامرأة لها كيان ككيان الزوج ، فخرجت وهى تصفق الباب خلفها تلك الصفقة الخالدة المدوية التى تركت رنيناً وصدى ، أو عندما جعل « هدڤيج » تطلق على نفسها الرصاص فى ختام مسرحية « البطة البرية » لكى تبرهن لأبيها على حبها له وبالتالى لا تفقد حبه لها . لا نجد هنا الواقعية العقلية التى استحالت على يد العبقرى الفريد « شو » الى مجرد نقاش وتبادل أفكار كما هى

الحال فى مسرحيته « الزواج » . لا . هذه واقعية عقلية لم يعرفها جوركى . وانما واقعيته ــ أو « طبيعيته » ان شئت ــ هى صرخة من اعماق قلبه باسم الملايين المحرومة من الزم ضروريات الحياة . باسم الشعب المهيض الجناح المهضوم الحقوق الذى كان يستغيث فلا يغاث ويستعين فلا يعان .

***

هذه الواقعية القلبية وهذا الصدق الوجدانى هما خير عوض عما يعوز مسرحية « الحضيض » من التزام الأصول الدرامية . كما أن شخصياتها واضحة كل الوضوح ، شخصيات حية ، متميزة ، لا اهتزاز فيها ولا قلقلة . تصرفاتها تنبىء عنها ، ولا يتناقض بعض هذه التصرفات مع بعضها الآخر . فنحن نشهد على المسرح قطاعاً واقعياً من حياة الناس . نرى طائفة حقيقية من اخواننا فى البشرية نجد لهم أمثالا واشباهاً يعيشون هذا العيش الذليل نفسه ويحيون تلك الحياة الوضيعة بعينها فى كل ركن من اركان المعمورة ، وفى كل بلد من بلاد العالم غنياً كان أم فقيراً ، رجعياً كان أم تقدمياً . وذلك هو حجر الزاوية فى كل اصلاح . تلك هى نقطة الضعف التى تعانيها الانسانية . فلما قامت الثورة كانت عاتية هوجاء ، دامية حمراء ، لم تبق ولم تذر . كان رد الفعل على قدر الفعل !

موجز القول ان جوركى قد تسامى بالواقعية الى ذروة رفيعة من تمجيد الانسان وحب الانسانية ، حتى لقد قال احد الكتاب انه « اذا كان (زولا) قد قضى حياته كلها أباً للطبيعية ، فقد كان

حرياً به أن يذهب الى المدرسة ليتعلم أبجدية فنه عند ركبتى ذلك الشاب الذى ولد فى نزنى نوفجورود : (جوركى) » .

وهذه الطبيعية هى التى جعلت من جوركى عوناً كبيراً لستانسلافسكى عندما اخرج هذه المسرحية لأول مرة على «مسرح الفن» بموسكو . فقد كان جوركى هو الذى يوجه الممثلين ويدربهم على اداء هذه الأدوار التى لم يكن لهم عهد بمثلها . بل ان جوركى اصطحب ستانسلافسكى وعدداً من الممثلين الى مغارات سوق خيتروف ليروا بأنفسهم هذه الطبقة من الناس وكيف تعيش . وقد كتب ستانسلافسكى عن ذلك فيما بعد فقال « لقد شحذت هذه الرحلة خيالى وملكة الخلق عندى اكثر من اية مناقشة او تحليل للمسرحية » .

***

صدرت هذه المسرحية فى عام ١٩٠٢ . ولعله لا يوجد من بين جميع مسرحيات جوركى ما يضاهيها فى القوة والشهرة سوى مسرحية « ايجور بولتشوف » . وهذه المسرحية التى كتبها فى عام ١٩٣٢ دليل على أن أعمال جوركى المسرحية كانت الجسر الذى عبرت عليه الدرامة الروسية الطريق من روسيا القيصرية الى روسيا السوفيتية .

وهنا نحيل القارىء الى الكتاب الثانى من « مكتبة الفنون الدرامية » الذى صدرت به ترجمة مسرحية جوركى « الرجل المجوز » فقد حوى مزيداً عن حياة جوركى ومؤلفاته .

يولية ١٩٦٢ — عبد الحليم البشلاوى

« ان جوركى رجل مدمر لا بد له أن يدمر كل ما يستحق التدمير . هذا هو مكمن كل قوته ، ومن أجل ذلك استدعته الحياة » .

تشيخوف

« ما أروع الانســان ! ما أشــد ما فى رنين هــذه الـكلمة من كـبرياء . . . الانسان ! لابد أن يكون الانســان موضع احترام وليس موضع شفقة . فالشفقة مهينة » .

جوركى

على لسان ساتين

« كل واحد منهم يظن انه انما يعيش لنفسه ، بينما الواقع انه يعيش ليجعل الحياة افضل ... » .

جوركي

على لسان لوكا

الحضيض

الشخصيات

ميخائيل ايفانوفتش كوستليوف Mikhail Ivanovich Kostylyov
صاحب النزل (٥٤ عاماً)

فاسيليسا كاربوفنا Vasilisa Karpovna
زوجتـــه (٢٦ عاماً)

ناتاشـــا Natasha
اختهـــا (٢٠ عاماً)

أبرام ميدفيديف Abram Medvedev
خالهما (شرطي) (٥٠ عاماً)

فاســـيا پيل Vasya Pepel
(٢٨ عاماً)

آندريه كليش Andrei Kleshch
صانع اقفـــال (٤٠ عاماً)

آنا Anna
زوجتـــه (٣٠ عاماً)

ناســـتيا Nastya
من فتيات الشـوارع (٢٤ عاماً)

كفاشـــنيا Kvashnya
بائعة كعك متجولة (٤٠ عاماً)

بينوف		Bubnov
صانع قبعات	(٤٥ عاماً)	
البارون	(٣٣ عاماً)	The Baron
ساتين	كلاهما حوالى الأربعين	Satin
الممثل		The Actor
لوكا		Luka
حاج	(٦٠ عاماً)	
اليوشكا		Alyoshka
اسكافى	(٢٠ عاماً)	
كريفوى زوب	من عمال الموانى	Krivoi Zob
التترى		The Tartar

الفصل الأول

(قبو أشبه بالكهف . سقفه المعقود (المقوس) مسود من أثر الدخان ، وقد سقط عنه الطلاء فى عدة أماكن . يهبط الضوء من نافذة مربعة فى مؤخرة المسرح فى أعلى اليمين . حاجز رقيق يجعل من الركن الأيمن غرفة (پيل) . بالقرب من باب هذه الغرفة مصطبة (بينوف) . فرن روسى كبير يحتل الركن الأيسر . باب فى الجدار الحجرى الى اليسار يؤدى الى المطبخ حيث ينام (كفاشنيا) و (البارون) و (ناستيا) . سرير عريض تحيط به ستائر قطنية قذرة يستند الى الحائط بين الفرن والباب . مصاطب [1] مبنية حول جميع الجدران . فى مقدمة المسرح الى اليسار قرمة خشبية الى جانبها منجلة وسندان . خلف السندان يجلس (كليش) على قرمة أخرى واطئة يجرب بضعة مفاتيح فى قفل قديم وقد تبعثرت حوله على الأرض حلقات مفاتيح مختلفة

---

(١) المصاطب المبنية فى هذه الغرفة لصق الحائط تستعمل للنوم وقد آثرنا اختيار هذه الكلمة تمييزاً لها عن السرير وعن الدكة اللذين ورد ذكرهما فى تقديم هذا المنظر (المترجم)

وساموفار (١) خرب من الصفيح ومطرقة ومبارد وآلات أخرى . فى وسط الغرفة مائدة كبيرة ودكتان وكرسى بدون مسند ، جميعها قذرة غير مطلية . (كفاشنيا) مكبة على ساموفار موضوع على المائدة . البارون يمضغ قطعة من الخبز الأسود . (ناستيا) جالسة مستندة بمرفقيها الى المائدة مستغرقة فى قراءة رواية . يسمع صوت (أنا) وهى تسعل وراء ستائر السرير . (بنوف) جالس على مصطبته وعلى ركبتيه قالب قبعة يحاول صنع قبعة من قطع من القماش مأخوذة من بنطلون قديم . وبالقرب منه خرق وقطع من المشمع والورق المقوى لصنع حواف القبعات . (ساتين) ، الذى استيقظ تواً من نومه ، مضطجع على مصطبته يزمجر . الممثل يسعل ويتحرك فوق الفرن (٢) . بحيث لا يراه النظارة)

(صبيحة يوم فى أوائل الربيع)

---

(١) هو جهاز روسى خاص لعمل الشاى .

(٢) الفرن الروسى شبيه بالفرن المألوف فى ريفنا المصرى (المترجم)

البارون : **وبعد ذلك ؟**

كفاشنيا : قلت له لا ، لا ، يا عزيزى . قلت له لا ، لا . ابق مكانك . أنا جربت هذا فعلا ، ولن تستطيع أن تجرنى أمام القسيس مرة أخرى حتى لو أعطيتنى مائة من الجمبرى المشوى .

بينوف : **(الى ساتين)** لماذا تزمجر هكذا ؟

(ساتين يزمجر من جديد)

كفاشنيا : أنا ... امرأة حرة ... رئيسة نفسها ، أذهب وأقيد اسمى فى جواز سفر شخص آخر ؟ أنا ... أصبح تابعة لأحد الرجال ؟ لا وحياتك . لا ، لا . حتى ولو كان هو ملك أمريكا نفسه .

كليش : كذب !

كفاشنيا : ماذا تقول ؟

كليش : كذب ! ستتزوجين أبرام !

البارون : **(يختطف الكتاب من ناستيا ويقرأ العنوان)** الحب المميت ! **(يضحك)**

ناستيا : **(تحاول استعادة الكتاب)** أعطنى الكتاب . هات . لا أحب هذا المزاح .

(يعاكسها البارون فيلوح بالكتاب فى الهواء)

كفاشنيا : **(الى كليش)** أنت تيس عنيد عجوز ! نعم . كذب ! كيف تجرؤ على اهانتى بهذا الشكل ؟

البارون : **(يضرب ناستيا بالكتاب على رأسها)** أنت حمقاء يا ناستيا .

ناستيا : **(تنتزع منه الكتاب)** أعطنى الكتاب .

كليش : يالك من سيدة رائعة ! ولكنك مع ذلك ستتزوجين ابرام . هذا هو كل ما تنتظرينه .

كفاشنيا : نعم ، نعم بالطبع . وماذا غير ذلك ؟ كما سقت أنت زوجتك الى الموت ؟

كليش : اخرسى يا كلبة ! ليس هذا من شأنك .

كفاشنيا : أوهو ... ! لا تحب أن تسمع الحق ؟ هه ؟

البارون : ها هما يبدآن . ناستيا ! ألا تسمعين ؟

ناستيا : **(دون أن ترفع رأسها)** أوه ، أخرج من هنا .

أنا : **(تطل برأسها من خلف الستائر)** طلع النهار . بالله لا تصيحوا ! لا تتشاجروا !

كليش : عادت الى الأنين .

أنا : كل يوم من أيام الله المباركة ! دعونى على الأقل أموت فى سلام .

بينوف : لاتستطيعين أن تبعدى الموت بالتقليل من الضجة .

كفاشنيا : **(متجهة نحو أنا)** كيف تعيشين مع هذا الشيطان يا عزيزتى المسكينة ؟

أنا : دعينى فى حالى . اذهبى عنى .

كفاشنيا : هيه ! ستموتين شهيدة . هل تحسن صدرك اليوم ؟

البارون : كفاشنيا . حان وقت الذهاب الى السوق .

كفاشنيا : لحظة واحدة **(الى أنا)** الا تحبين بعض الكعك الساخن ؟

أنا : لا . شكراً . لماذا اتعب نفسى بالأكل ؟

كفاشنيا : حاولى . انه ساخن ولذيذ . سيخفف من سعالك . سأتركه فى هذا الوعاء حتى تأخذى منه عندما تشائين . هيا يا لورد ! **(الى كليش)** بررر ! يا غول !

(تذهب الى المطبخ)

أنا : **(تسعل)** يا رب !

البارون : **(يدفع ناستيا فى رأسها بخبث)** اتركى هذا الكتاب يا مغفلة !

ناستيا : **(متذمرة)** أخرج . أنا لا أقف فى طريقك . هه ؟

(يخرج البارون وراء كفاشنيا وهو يصفر)

ساتين : **(ينهض فوق مصطبته)** من الذى ضربنى الليلة الماضية ؟

بينوف : وماذا يهمك من ذلك ؟

ساتين : لا شىء على ما أظن . ولكن لماذا ضربونى ؟

بينوف : هل كنت تقامر ؟

ساتين : نعم .

بينوف : هذا يفسر لك سبب الضرب .

ساتين : الأوغاد !

الممثل : **(يطل برأسه من فوق الفرن)** سيضربونك حتى الموت فى يوم من الأيام .

ساتين : أنت حمار !

الممثل : لماذا ؟

ساتين : لأن الانسان لا يموت مرتين .

الممثل : **(بعد فترة صمت)** ولماذا لا ؟ لا أدرى لماذا لا ؟

كليش : **(للممثل)** انزل من فوق هذا الفرن ورتب الغرفة . أم تخشى أن تلوث يديك ؟

الممثل : ليس هذا من شأنك .

كليش : انتظر حتى تأتى ڤاسيليسا فتريك شأن من هو .

الممثل : لتذهب ڤاسيليسا الى جهنم ! الدور اليوم على البارون ليرتب الغرفة . يا بارون !

البارون : **(داخلا من المطبخ)** لا وقت لدى لترتيب الغرفة . أنا ذاهب الى السوق مع كفاشنيا .

الممثل : وأنا مالى . تستطيع أن تذهب الى السجن ان شئت . ولكن اليوم دورك لكنس الغرفة . لن أقوم بعمل شخص آخر .

البارون : اذهب الى جهنم ! ناستيا ستكنس الغرفة . ايه ، « الحب المميت » ! اصحى !**(يختطف الكتاب من يديها)**

ناستيا : **(تقف)** ماذا تريد ؟ أعطنى الكتاب . ظريف ، هه ؟ وتسمى نفسك چنتلمان ؟

البارون : **(يعطيها الكتاب)** اكنسى الغرفة عنى يا ناستيا . أنت فتاة طيبة .

ناستيا : **(ذاهبة الى المطبخ)** لم يبق الا هذا !

كفاشنيا : **(عند باب المطبخ ، تخاطب البارون)** تعال . سيدبرون أمرهم هنا بدون مساعدتك . ايه ، أنت يا ممثل . لقد طلبوا منك أنت ، فكن لطيفاً . لن يكسر الكنس ظهرك .

الممثل : هيه ! دائماً أنا ! لا أدرى لماذا . . .

البارون : **(يدخل من المطبخ تتدلى من على كتفيه سلتان مملوءتان بأوان فخارية مغطاة بخرق قذرة ، السلتان معلقتان بعصا خشبية بحيث تبدو الثلاثة على شكل الخرج)** أثقل من المعتاد اليوم !

ساتين : أمن أجل هذا ولدت (بارون) ؟

كفاشنيا : **(للممثل)** ابدا الكنس ، الآن .

(تهم بالخروج ، ولكنها تدع البارون يخرج أولا)

الممثل : **(ينزل من على الفرن)** استنشاق الغبار يضرنى **(بكبرياء)** ان أنسجة جسمى مسممة بالكحول **(تنتابه حالة هم وتفكير ، ويغوص جالساً على احدى المصاطب)** .

ساتين : الأنسجة . . . النسيج .

أنا : اندريه متريتش . . .

كليش : والآن ، ماذا تريدين ؟

أنا : كفاشنيا تركت لى بعض الكعك . خذه وكله .

كليش : (**يتجه اليها**) وانت ؟ الا تريدينه ؟

أنا : لا . لماذا آكل ؟ أنت رجال شغال . فى حاجة الى غذاء .

كليش : هل أنت خائفة ؟ لا تخافى . فمن يدرى ؟ ربما . . .

أنا : هيا ، كلها . أنا مريضة جداً . لا أظن ان الوقت يطول بعد الآن .

كليش : (**يهم بالخروج**) لا تحزنى . ربما تتحسن صحتك . هذا يحدث فى بعض الأحيان (**يذهب الى المطبخ**) .

الممثل : (**بصوت عال كما لو كان قد أفاق فجأة**) أمس قال لى الدكتور فى العيادة « أنسجة جسمك تسممت تماماً من الكحول » .

ساتين : (**مبتسماً**) منسوجات .

الممثل : (**فى اصرار**) لا تقل (منسوجات) (انسجة) .

ساتين : منسوجات !

الممثل : (**يلوح بيده فى وجهه**) عبيط ! ولكن كلامى جد . نعم ، جد . اذا تسممت أنسجة جسمك ، فان كنس الأرض يضرك . يضرك استنشاق هذا الغبار .

ساتين : مكروبات حية ! هه !

بينوف : ما هذه الهلوسة ؟

ساتين : كلمات . وهذه كلمة أخرى : اللامماتى !

بينوف : اذن فلماذا تقولها ؟

ساتين : على سبيل المزاح . لقد سئمت كل هذه الكلمات التى يستعملها الناس . سئمت كل الفاظنا . فقد سمعتها كلها الف مرة .

الممثل : فى مسرحية « هاملت » يقول المثلون : « كلمات ، كلمات ، كلمات » مسرحية رائعة ! قمت فيها بدور حفار القبور .

كليش : (**داخلا من المطبخ**) ومتى تبدأ فى دور الكناس ؟

الممثل : كن فى حالك ! (**يدق صدر نفسه بيده**) « أوفيليا ! أيتها الحورية ! الا فلتظل ذنوبى كلها بادية فى الأفق » .

(**من على مبعدة خارج المسرح تسمع أصوات مختلطة وصيحات وصفارات الشرطة . ينكب كليش على عمله محدثاً صوتاً حاداً بمبرده**) .

ساتين : أحب الكلمات الغريبة الغير المفهومة . عندما كنت صبياً أشتغل فى أحد مكاتب التلغراف ، كنت أقرأ كثيراً .

بينوف : اذن فقد كنت عامل تلغراف أيضاً ؟

ساتين : نعم (**يضحك ضحكة صغيرة**) الكتب القيمة قليلة ، والكلمات الغريبة كثيرة . لقد كنت فى يوم من الأيام رجلا متعلماً خير تعليم . هل عرفت هذا ؟

بينوف : سمعت هذا مائة مرة . وايه يعنى ؟ ما قيمة هذا

الآن ؟ خذ حالتى أنا مثلا . كنت من قبل أشتغل فى صناعة الفراء . كان لى محلى الخاص . كانت يداى دائما صفراوين من صبغ الفراء ، يداى وذراعاى ، لغاية الكوع . وكنت أظن أنها ستظل كذلك الى أن أموت . كنت أظن أننى سأموت بهاتين الذراعين الصفراوين . والآن أنظر اليهما . مجرد قذارة ، لا غير . هه !

ساتين : وايه يعنى ؟

بينوف : لا شىء . هذا كل ما فى الأمر .

ساتين : ما هو قصدك اذن من هذه الخطبة ؟

بينوف : لا قصد على الاطلاق . مجرد فكرة . لقد اتضح أنه مهما يكن حرصك فى طلاء الظاهر ، فان الطلاء يزول . كله يزول .

ساتين : أوه ، عظامى تؤلمنى أشد الألم !

الممثل : (**يجلس محتضناً ركبتيه**) التعليم لا شىء ، المهم هى الموهبة . كنت أعرف ممثلا لم يكن يستطيع أن يحفظ دوره الا بقراءته مقطعاً بعد آخر . ولكنه عندما كان يمثل ، كان المسرح يضج ويصخب من انفعال الجماهير .

ساتين : بينوف ، أقرضنى خمسة كوبك .

بينوف : ليس معى الا اثنان .

الممثل : أقول لك ان الموهبة هى التى تخلق الممثل . والموهبة معناها أن تؤمن بنفسك ، بمقدرتك .

ساتين : أعطنى خمسة كوبك وأنا أومن بأنك عبقرى ، بطل ، تمساح ، ضابط شرطة ! كليش ، أعطنى خمسة كوبك .

كليش : اذهب الى الشيطان ! أمثالك كثيرون .

ساتين : لا داعى للسباب ، أرجوك . كأننى لا أعلم أنك لاتمتلك كوبكاً واحداً ؟

أنا : أندريه متريتش ... لا أستطيع أن أتنفس ... الجو خانق ... جداً ...

كليش : وماذا تنتظرين منى أن أفعل ؟

بينوف : افتح باب الطرقة .

كليش : آه ، نعم ، بالطبع . أنت هناك على سريرك ، وأنا هنا تحت على الأرض . أنا مصاب ببرد .

بينوف : (**بهدوء**) لست أنا الذى أريد فتح الباب . زوجتك هى التى تطلب ذلك .

كليش : (**مكتئباً**) الحاجات التى يطلبها الانسان لا عد لها ولا حصر .

ساتين : رأسى تدور . لماذا يضرب الناس بعضهم بعضاً على الرأس ؟

بينوف : ليس على الرأس فقط ، وانما على سائر أجزاء الجسم (**ينهض**) سأخرج لأشترى بعض الخيط . لماذا تأخر صاحب الملك وزوجته اليوم ؟ لعلهما تشاجرا (**يخرج**) .

(تسعل أنا . يرقد ساتين بلا حراك ، ويداه تحت رأسه) .

الممثل : **(ينظر حوله فى بؤس ثم يتجه الى أنا)** تشعرين بتعب ؟

أنا : الجو خانق ... جداً ...

الممثل : سآخذك الى الطرقة اذا أردت . هيا ، انهضى **(يساعدها على النهوض ، ويلف بعض الخرق على كتفيها ، ثم يقودها الى الخارج)** هكذا . حاسبى . انا نفسى مريض .... جسمى مسمم من الكحول .

كوستليوف : **(عند الباب)** تتريضين ؟ منظركما جميل جدا . خروف ونعجة !

الممثل : أفسح الطريق . الا ترى أننا مريضان ؟

كوستليوف : نعم ، نعم ، بالطبع **(يهمهم باحدى تراتيل الكنيسة من أنفه ، ثم يتطلع فى الغرفة بارتياب وهو يستدير برأسه كأنما يصغى الى شىء فى غرفة پپل . بينما يقوم كليش ـ فى خبث ـ بشخللة المفاتيح واستعمال مبرده وهو يرقب حركات صاحب الملك من تحت حاجبيه)** هذا وقت البرادة ؟

كليش : ماذا تقول ؟

كوستليوف : أقول هذا وقت البرادة ؟ **(صمت)** ماذا كنت أريد ان أقول ؟ **(يتحدث بسرعة فى صوت منخفض)** هل جاءت زوجتى ؟

كليش : لم أرها .

كوستليوف : **(ينسل نحو الباب متجهاً الى غرفة پپل)** انت تشغل مساحة كبيرة باثنين روبل فى الشهر ، هه ؟ سرير ، ومكان بجانبه لتجلس فيه ، هيه ! هذا يساوى خمسة روبلات على الأقل . سأزيد الايجار نصف روبل .

كليش : زده حبلا واشنقنى الى ان أموت . انت الآن فى آخر أيام حياتك ، وما زلت تفكر فى انتزاع نصف روبل آخر .

كوستليوف : ولماذا اشنقك ؟ من الذى يستفيد من هذا ؟ عش ، وليكن الله فى عونك . ولكننى سأزيد نصف الروبل على أية حال . سأشترى بعض الزيت لمصباح الأيقونة وأوقده أمام الصورة المقدسة ، قرباناً منى للتكفير عن خطاياى ، وعن خطاياك أيضاً . انت لا تفكر أبداً فى خطاياك ، هـه ؟ أنت رجل شرير يا أندريه ! زوجتك تقضى نحبها من دناءتك . لا أحد يحبك . لا أحد يحترمك . تستعمل هذا المبرد وتثير أعصاب الناس ....

كليش : **(صارخاً)** ألم تأت هنا الا لتسمم حياتى ؟

(ساتين يزأر)

كوستليوف : **(مفزوعاً)** يا حفيظ ! ما هذا ...

الممثل : **(داخلا)** أعددت لها مكاناً فى الطرقة ، بعد ان غطيتها جيداً .

كوستليوف : قلبك طيب يا أخ . هذا عمل طيب . سيضاف كل هذا الى حسابك .

الممثل : متى ؟

كوستليوف : فى الآخرة يا أخ ! فهناك كل شىء بحساب ، كل عمل ولو كان صغيراً .

الممثل : لعلك تكافئنى على طيبتى هنا ، الآن ؟

كوستليوف : وكيف أستطيع ذلك ؟

الممثل : بشطب نصف ما على من ديون .

كوستليوف : هيه ! أنت تمزح . واحدة أخرى من نكاتك الهزيلة ! كأنما القلب الطيب يكافأ بالمال . الطيبة هى أعلى مراحل البركة . أما الدين فدين . ومعنى هذا أنه لا مفر من دفعه . أما بخصوص الطيبة التى تبديها نحو رجل عجوز مثلى ، فلا يجوز أن تطلب عليها مكافأة .

الممثل : أنت عجوز حقير !

(يخرج الى المطبخ . ينهض كليش ويخرج الى الردهة)

كوستليوف : (**يخاطب ساتين**) هذا البراد . هرب . هو لا يحبنى .

ساتين : لا يمكن أن يحبك الا الشيطان !

كوستليوف : (**مداعباً**) لماذا تقول لى كلاماً كهذا ؟ أنا ، الذى احبكم جميعاً . الا أعلم انا أنكم جميعاً اخوتى ؟

أخوتى الفقراء السيئو الحظ ؟ **(فجاة وبسرعة)** ايه ... أ ... قاسيا ... هل هو هنا ؟

ساتين : ابحث عنه .

كوستليوف : (**يذهب فيطرق الباب**) قاسيا !

(يظهر الممثل عند باب المطبخ يمضغ شيئاً)

پيل : من ؟

كوستليوف : أنا . أنا يا قاسيا .

پيل : ماذا تريد ؟

كوستليوف : (**مبتعداً**) افتح الباب .

ساتين : (**دون أن ينظر الى كوستليوف**) سيفتح الباب فتراها .

(يصدر الممثل صوتا من حلقه)

كوستليوف : (**فى ارتباك ، بصوت منخفض**) ماذا ؟ من هناك ؟ ماذا قلت ؟

ساتين : أنت تكلمنى ؟

كوستليوف : ماذا قلت ؟

ساتين : لا شىء . كنت أكلم نفسى .

كوستليوف : حاسب على الفاظك يا أخ : النكتة نكتة ، ولكن فى الوقت المناسب ! (**يطرق الباب بشدة**) قاسيا !

پيل : (**يفتح الباب**) لماذا تأتى الى هنا وتضايقنى ؟

كوستليوف : (**يطل فى الغرفة**) أنا ... أنت ...

پيل : هل أحضرت النقود ؟

كوستليوف : أريد أن أتحدث معك فى بعض الأعمال .

پيل : هل أحضرت النقود ؟

كوستليوف : أى نقود ؟ انتظر لحظة ...

پيل : سبعة روبلات ثمن الساعة . أين هى ؟

كوستليوف : أى ساعة يا ڤاسيا ؟ أنت ...

پيل : حاسب ! حاسب ! رآنى الناس وأنا أبيع لك هذه الساعة أمس بعشرة روبلات . وصلنى منها ثلاثة ، باقى سبعة . هاتها . لماذا تقف هكذا ؟ لماذا ترابط هنا تزعج كل واحد بدلا من الانصراف الى عملك ؟

كوستليوف : شش ! لا تغضب يا ڤاسيا . الساعة ... انها ...

ساتين : بضاعة مسروقة .

كوستليوف : أنا لا أتعامل فى البضاعة المسروقة . كيف تجرؤ ...

پيل : (**يقبض على كتفيه**) لماذا تضايقنى ؟ ماذا تريد ؟

كوستليوف : أنا ؟ لا شىء . لا شىء بالمرة . سأنصرف اذا كنت تعاملنى هكذا .

پيل : اذهب ، واحضر النقود .

كوستليوف : (**خارجاً**) يا حفيظ ! رجل فظ !

الممثل : كوميدى حقيقية !

ساتين : هذا ما أحبه .

پيل : ماذا كان يفعل هنا ؟

ساتين : (**وهو يضحك**) الا تستطيع أن تخمن ؟ كان يبحث عن زوجته . لماذا لا تنتهى منه يا ڤاسيا ؟

پيل : وأفسد حياتى من أجل خنزير مثله ؟

ساتين : كن لبقاً ، حتى تستطيع أن تتزوج ڤاسيليسا وتجمع منا الايجار .

پيل : ألايكون ذلك لطيفا ؟ عندئذ تستولون على كل أملاكى بما فيها أنا شخصياً قبل أن أتنبه ، نظراً لطيبة قلبى **(يجلس على أحدى المصاطب)** هذا الشيطان العجوز ! لقد أيقظنى . كنت أحلم حلماً رائعاً . كنت أحلم أننى كنت أصيد السمك وأننى صدت قرموطة ضخمة . لم أر قرموطة بهذا الحجم أبداً الا فى الحلم . كانت هناك عند السنارة ، وكنت أخشى أن تفلت ، ولذا أعددت الشبكة وقلت لنفسى سأصيدها الآن ...

ساتين : لم تكن هذه قرموطة . بل كانت ڤاسيليسا .

الممثل : لقد صاد ڤاسيليسا من زمان .

پيل : (**غاضباً**) اذهبوا كلكم الى جهنم ، وخذوها معكم .

كليش : (**داخلا من الردهة**) البرد شديد .

الممثل : لماذا لم تدخل أنا ؟ ستتجمد هناك .

كليش : أخذتها ناتاشا الى المطبخ .

الممثل : سيطردها العجوز .

كليش : **(يستأنف عمله)** عندئذ تأتى بها ناتاشا .

ساتين : ڤاسيا ، أقرضنى خمسة كوپك .

الممثل : **(الى ساتين)** خمسة كوپك ؟ ڤاسيا ، أقرضنى عشرين كوپك .

پپل : الأفضل أن أسرع باعطائهما النقود قبل أن يطلبا روبلا . خذا .

ساتين : اللصوص أحسن ناس فى الدنيا !

كليش : **(مكتئباً)** يأتيهم المال بسهولة . وهم لا يشتغلون .

ساتين : كثير من الناس يأتيهم المال بسهولة . ولكن قليل من الناس يعطونه بسهولة . شغل ؟ ابحث لى عن عمل يسرنى أن أعمل فيه ، وربما أقبله . ربما ! عندما يكون العمل لذة ، تكون الحياة بهيجة . أما عندما يكون العمل واجباً ، فالحياة تكون استعباداً **(يخاطب الممثل)** هيا يا « ساردانابالوس » . فلنذهب .

الممثل : لنذهب يا « بختنصر » . سأسكر طينة .

(يخرجان)

پپل : **(يتثاءب)** كيف حال زوجتك ؟

كليش : تستطيع أن ترى أن حياتها لن تطول .

(صمت)

پپل : بالله عليك لماذا لا تكف عن استخدام هذا المبرد ؟

كليش : وماذا افعل غير ذلك ؟

پپل : لا شىء .

كليش : وكيف اطعم نفسى ؟

پپل : غيرك يدبرون أمرهم .

كليش : من ؟ هؤلاء هنا ؟ هل تسمى هؤلاء ناساً ؟ صعاليك ! متشردون ! حثالة الأرض ! انا رجل صنايعى ، وانا اشعر بالعار لمجرد النظر اليهم . انا اعمل منذ طفولتى . هل تظن أننى لن أتمكن من ان انجو بنفسى من هذا المكان ؟ سأتمكن من هذا . قد أبرد كل قطعة من جلد جسمى بهذا المبرد ، ولكننى سأزحف حتى أخرج من هنا . انتظر . ستموت زوجتى قريباً . انا لم أعش هنا الا ستة أشهر ، ولكنها تبدو ست سنين .

پپل : أنت لست أفضل من اى واحد منا ، فلا داعى لمثل هذا الكلام .

كليش : لست أفضل ! انت لا شرف لك ، ولا ضمير !

پپل : **(بلا مبالاة)** ومنذا الذى يريدهما : الشرف والضمير ؟ لا تستطيع أن تلبس الشرف والضمير فى قدميك بدلا من الحذاء . هؤلاء الذين لديهم السلطان والنفوذ ، هم وحدهم الذين يحتاجون الى الشرف والضمير .

بينوف : **(داخلا)** بررررر ! أنا أموت من البرد .

پيل : بينوف ! هل عندك ضمير ؟

بينوف : وما هذا ؟ ضمير ؟

پيل : نعم ، ضمير ؟

بينوف : ولماذا يجب أن يكون عندى ضمير ؟ أنا لست غنياً .

پيل : هذا ما أقوله . الأغنياء وحدهم هم الذين يحتاجون الى شرف وضمير . ولكن كليش يؤنبنا. هو يقول ان ضميرنا ...

بينوف : هل يحب أن يستعير ضميرا ؟

پيل : لا ، لا . هو عنده ضمير ممتاز .

بينوف : **(الى كليش)** اذن فهو يعرضه للبيع ؟ لن يجد له زبوناً هنا . لو كانت « كوتشينة » قديمة مثلا ، فربما اشتريتها ، ولكن بشرط أن يقبل أن يبيعها لى بالتقسيط .

پيل : **(واعظاً)** أنت مغفل يا أندريه ! قبل أن تتحدث عن الضمير انصحك بأن تستمع الى ساتين ... أو حتى البارون .

كليش : ليس لديهما شىء أتعلمه منهما .

پيل : تفكيرهما أفضل من تفكيرك ، حتى اذا كانا سكرانين .

بينوف : من يحتفظ بعقله وهو سكران ، هو لجائزتين كسبان .

پيل : ساتين يقول ان كل واحد يريد من الآخرين أن يكون لهم ضمير ، ولكن ما من أحد يريد أن يكون لنفسه ضمير . هذا هو الحق .

(تدخل ناتاشا . يتبعها لوكا بعصا فى يده ، وخرج على كتفه ، وابريق وغلاية شاى مربوطة فى حزامه)

لوكا : تحية لكم ، أيها الناس الطيبون !

پيل : **(يداعب شاربه)** آه ، ناتاشا !

بينوف : **(الى لوكا)** كنا طيبين فيما مضى ، قبل العام الذى انقضى !

ناتاشا : هذا ساكن جديد .

لوكا : سيان عندى ، فأنا أحترم النصابين أيضاً . فحتى البرغوث ، له مزاياه . هذا رأيى . فالبراغيث كلها سوداء ، وهى كلها تنط . والآن يا عزيزتى ، أين سأنام ؟

ناتاشا : **(مشيرة الى باب المطبخ)** هناك يا جدى .

لوكا : شكرا يا بنتى . اذا قلت هناك ، فالى هناك أذهب . أى مكان دافىء هو مأوى للعظام الهرمة .

پيل : هذا عجوز أمره عجيب يا ناتاشا .

ناتاشا : هو أفضل منك . أندريه ، زوجتك جالسة فى مطبخنا . تعال وخذها بعد لحظة .

كليش : طيب ، سآتى .

ناتاشا : ارجو أن تعامليها معاملة الطف . فأنت ترى أن الأمر لن يطول بعد الآن .

كليش : أعرف .

ناتاشا : لا يكفى أن تعرف . لابد ان تفهم . الموت شيء رهيب .

پيل : انا لست خائفاً .

ناتاشا : ألست خائفاً الآن ؟ أنت شجاع جداً !

ببنوف : **(يصفر بفمه)** هذا الخيط تالف .

پيل : صدقينى ، أنا لا أخشى الموت . أنا مستعد لأن أموت فى هذه اللحظة . خذى هذه السكين واغرسيها فى قلبى . سأموت دون أن تصدر عنى شهقة واحدة . بل سأكون مسروراً لأن موتى جاء على يد نظيفة .

ناتاشا : **(خارجة)** هل تتوقع منى أن أصدق هذا ؟

ببنوف : **(بعويل)** هذا الخيط تالف .

ناتاشا : **(عند باب الطرقة)** لا تنس زوجتك يا أندريه .

كليش : لن أنسى .

پيل : يا لها من فتاة !

ببنوف : لا بأس بها .

پيل : لماذا تعاملنى هكذا ؟ دائماً تصدنى . ستتحطم اذا بقيت هنا .

ببنوف : ستتحطم بسببك .

پيل : ما الذى يجعلك تقول هذا ؟ انا ... انا اشفق عليها .

ببنوف : كما يشفق الذئب على الحمل !

پيل : هذا كذب ! من الصعب أن تعيش هنا . استطيع أن ارى هذا .

كليش : انتظر الى ان تضبطك ڤاسيليسا وانت تكلمها .

ببنوف : ڤاسيليسا ؟ هى ليست من النوع الذى يتخلى عن شيء مقابل لا شيء . هى سيدة مفترسة .

پيل : **(مضطجعاً على السرير)** اذهبا الى الجحيم : ماذا ؟ تَبيان ؟

كليش : سترى . انتظر .

لوكا : **(يغنى فى المطبخ)** فى حلكة الليل الرهيب ، يختفى الطريق فى الظلام

كليش : **(ينتجه الى الطرقة)** علام ينوح هو الآخر ؟

پيل : حقاً ان الحياة مملة ! عجيب أن ينتابنى هذا الشعور من آن لآخر . ان الانسان يعيش من يوم ليوم دون أن يلاحظ شيئاً ، ثم على حين فجأة يشعر كأنما أصيب ببرد . شيء متعب جداً .

ببنوف : متعب ؟ هه !

پيل : جداً .

لوكا : **(يغنى)** آه ... ه ! لا طريق على مدى البصر !

پيل : ايه . أنت يا عجوز !

لوكا : (**يطل من الباب**) هل تنادينى ؟

پيل : نعم انت . كف عن الغناء .

لوكا : (**خارجاً من المطبخ**) الا تحب الغناء ؟

پيل : قد أحب الغناء اذا كان جيداً .

لوكا : تريد أن تقول ان غنائى ليس جيداً ؟

پيل : بالضبط .

لوكا : عجيب ! وأنا الذى كنت اظن ان صوتى جميل . دائماً هكذا : عندما يؤدى شخص شيئاً يقول لنفسه : يا سلام ، هذا رائع ، ثم يأتى من يقول له هذا ردىء .

پيل : (**ضاحكاً**) هذا صحيح .

بينوف : منذ دقيقة كنت على وشك أن تموت من الملل ، والآن تضحك ؟

پيل : وماذا يهمك أيها الغراب العجوز ؟

لوكا : ما هذا ؟ من الذى يشعر بالملل ؟

پيل : أنا .

(يدخل البارون)

لوكا : عجيب ! هناك فتاة جالسة فى المطبخ تقرأ فى كتاب وتبكى. تبكى فعلا . والدموع تجرى على خديها . سألتها « لماذا تبكين يا عزيزتى ؟ » فقالت « الرجل المسكين ! » . فسألتها « أى رجل ؟ » . فقالت « هنا فى الكتاب » . ما الذى يجعل الناس تضيع الوقت فى أمور كهذه ؟ لابد أنها تشعر بالملل مثلك .

البارون : هى حمقاء !

پيل : آه ، البارون ! هل تناولت الشاى ؟

البارون : نعم . وماذا بعد ذلك ؟

پيل : هل تريد ان اشترى لك كوب بيرة ؟

البارون : نعم . ثم ماذا ؟

پيل : اذن فاركع على أطرافك الأربعة وانبح كالكلب .

البارون : عنيد ! هل تظن انك تاجر غنى ؟ أم انك سكران ؟

پيل : هيا ، انبح كى تسليني . انت جنتلمان . وفى يوم من الأيام لم تكن تعتبر الناس أمثالنا كائنات بشرية .

البارون : ثم ماذا ؟

پيل : والآن ، انا أطلب منك أن تركع على أطرافك الأربعة وأن تنبح كالكلب ، وانت ستفعل ذلك . هل تسمعنى ؟

البارون : أسمعك يا أحمق ، وسأفعل ما تطلب . ولكننى لا أرى ما هى المتعة التى تعود عليك من هذا ، اذا ما ادركت انا نفسى اننى اصبحت أسوأ منكم أو اكاد . وانت ما كنت تحاول أن تجعلنى أركع على أطرافى الأربعة عندما كنت أعلى منك .

بينوف : كلام صحيح !

لوكا : كلام مضبوط !

بينوف : ما فات مات ولم يبق الا ريش الدجاج . لا يوجد

هنا أحد ممن تسميهم « بجنتلمان » . الدهان كله زال . ليس هنا الا ناس عرايا .

لوكا : وبعبارة أخرى ، كلنا متساوون . ولكن هل كنت حقيقة باروناً أيها الرجل الطيب ؟

البارون : من هذا ؟ من أنت أيها العفريت ؟

لوكا : (ضاحكاً) أنا رأيت الكونت ، ورأيت الأمير ، ولكننى لم أر أبداً باروناً ، وخاصة اذا كان هذا البارون جربان .

پيل : (ضاحكا) بارون ! انك تجعلنى أحمر من الخجل !

البارون : حان الوقت لكى تتعقل يا ڤاسيا .

لوكا : لا ، لا ، لا . هذه الحياة التى تحيونها ! من أغرب ما يكون !

بينوف : نحن نصحو على الآهات ، وننام على الأنات . هكذا نعيش !

البارون : كنا نعيش أحسن من ذلك فى يوم من الأيام . أنا أتذكر عندما كنت أصحو فى الصباح فتأتينى الخادم بالقهوة فى السرير . قهوة باللبن .

لوكا : نحن بشر . كلنا . مهما يكن مظهرنا ، مهما نتظاهر أو نخادع ، ولدنا بشراً ، وسنموت بشراً . الناس يزدادون حكمة ، على ما يبدو لى ، ويزداد أمرهم بعثاً على الاهتمام بشأنهم . كلما ساءت حياتهم ، ازدادوا رغبة فى تحسين حياتهم . جنس عنيد ، هؤلاء البشر !

البارون : من أنت أيها العجوز ؟ من أين جئت ؟

لوكا : أنا ؟

البارون : هل أنت حاج ؟

لوكا : كلنا حجاج على هذه الأرض . وقد سمعت قائلا يقول ان أرضنا هذه هى نفسها حاجة فى السماوات .

البارون : (بشدة) دع الأرض وشأنها . ولكن أنت ! هل معك جواز مرور ؟

لوكا : (بعد برهة صمت) ومن تكون أنت ؟ بوليس سرى ؟

پيل : (مرحاً) أحسنت أيها العجوز ! لقد نال منك هذه المرة يا بارون !

بينوف : نعم ، وضع الجنتلمان العظيم فى مكانه .

البارون : (مرتبكاً) وماذا فى ذلك ؟ كنت أمزح أيها العجوز . أنا نفسى ليس معى أوراق من هذه .

بينوف : كذاب !

البارون : أريد أن أقول ان معى بعض أوراق ، ولكن لا فائدة لها .

لوكا : هذه الأوراق كلها متشابهة . لا فائدة لها .

پيل : فلنذهب لنتناول كأساً يا بارون .

البارون : لا مانع عندى . الى اللقاء أيها العجوز . انت وغد !

لوكا : لا يتم العالم الا اذا كان فيه ناس من كل نوع .

پيل : (عند باب الردهة) تعال ان كنت ستأتى (يخرج . يهرول البارون خلفه)

لوكا : هل كان حقيقة بارونا ؟

بينوف : من يدرى ؟ ولكن من المؤكد أنه ينتمى الى طبقة السادة . وحتى الآن نراه على حين فجأة يفعل شيئاً يثبت أنه ينتمى الى هذه الطبقة . يبدو انه لم ينس هذه العادات بعد .

لوكا : ان الانتماء الى طبقة السادة أشبه بالاصابة بالجدرى ، قد يبرأ منه المصاب ، ولكن آثاره تبقى.

بينوف : هو شخص لا بأس به على وجه العموم . كل مافى الأمر أنه يقف على رجليه الخلفيتين من آن لآخر . كما فعل عندما سألك عن جواز المرور .

اليوشكا : **(يدخل وهو مخمور بعض الشىء ، يصفر ويعزف على الأكورديون)** هيه يا سكان !

بينوف : ما هذا الصياح ؟

اليوشكا : سامحونى ! أعذرونى ! أنا رجل مؤدب جداً بطبيعتى .

بينوف : عدت للعراك ؟

اليوشكا : طردنى الشرطى « مدياكين » من مركز الشرطة وقال لى « اياك أن أرى وجهك فى الشارع مرة اخرى ! » ، ولكن أنا شخص عنده اخلاق . اذا كان رئيسى يشخط فى ، فمن هو الرئيس ؟ مجرد سوء تفاهم . سكران . رئيسى سكران . وأنا شخص لا أبالى بأى شىء . أنا لا أريد شيئاً .

خذونى بنصف روبل . أنا لا أريد شيئاً **(تدخل ناستيا من المطبخ)** أعطونى مليون روبل ... لن آخذها . هل تظنون أننى أسمح لأى شخص ، خصوصاً اذا كان سكران ، أن يقول لى ماذا أفعل. أبداً .

(تقف ناستيا بالباب تراقب اليوشكا وتهز رأسها)

لوكا : **(بعطف)** ما هذه اللخبطة التى أوقعت نفسك فيها أيها الشاب ؟

بينوف : مهفوف ! نعم مهفوف !

اليوشكا : **(يلقى بنفسه على الأرض)** كلونى ! لا أريد منكم شيئاً . أنا رجل بائس . حاولوا أن تثبتوا لى أن فيكم من هو أحسن منى . لماذا أكون فى نظركم أسوأ من الباقين ؟ هذا الـ « مدياكين » يقول لى « سأحطم رأسك اذا ضبطتك فى الشارع » . ولكننى سأخرج الى الشارع . سأخرج الى الشارع ، وأنام فى عرض الطريق .. هيا ... دوسوا فوقى . لا أريد منكم شيئاً .

ناستيا : مسكين ! منحرف ومعقد وهو فى عز شبابه !

اليوشكا : **(يلمحها فينهض على ركبتيه)** مدموازيل ، Parlez francais !. merci ! Bouillon !. كنت فى معركة .

ناستيا : **(فى همس مسموع)** ڤاسيليسا !

فاسيليسا : (**تفتح الباب بسرعة وتخاطب اليوشكا**) عدت الى هنـا !

اليوشكا : كيف حالك ؟ هل تتفضلين فـ . . .

فاسيليسا : أنا حذرتك من أن أرى وجهك هنـا مرة أخرى يا كلب . وهذا أنت الآن !

اليوشكا : يا فاسيليسا كاربوفنا. سأعزف لك لحناً جنائزياً . ما رأيك ؟

فاسيليسا : (**تجره من كتفه**) أخرج !

اليوشكا : (**متجهـاً نحو البـاب**) انتظرى لحظـة ! اللحن الجنائزى ! لقد تعلمته الآن . لحن جديد تماماً . انتظرى لحظة . لا يمكن أن تفعلى ذلك .

فاسيليسا : سأريك ان كان فى امكانى أن أفعـل ذلك أم لا . سأثير الشارع كله ضدك أيها الوثنى . أنت أصغر من أن تجوب الشوارع تشهر بى !

اليوشكا : (**وهو يعدو**) سأخرج .

فاسيليسا : (**الى ببنوف**) لا أريد أن أراه هنا مرة أخرى ، هل تسمع ؟

ببنوف : أنا لست كلب حراسة .

فاسيليسا : لا يهمنى ماذا تسمى نفسك . ولا تنس انك تعيش على الاحسان . بكم أنت مدين لى ؟

ببنوف : (**دون أن ينزعج**) لم أحسب .

فاسيليسا : سأحسب لك .

اليوشكا : (**يفتح الباب ويصيح**) فاسيليسا كاربوفنا ! لايمكن أن تخيفينى ! لا يمكن أن تخيفيـ . . . ى (**يختفى**)

(**لوكا يضحك**)

فاسيليسا : ومن تكون أنت ؟

لوكا : متجول . حاج .

فاسيليسا : هنا ليلة أم اقامة ؟

لوكا : سأرى المكان أولا .

فاسيليسا : جواز المرور ؟

لوكا : اذا أردت . . . .

فاسيليسا : أعطنيه .

لوكا : سأسلمه . . . أ . . . . لك فى غرفتك بنفسى .

فاسيليسا : حاج ؟ لماذا لا تقول صعلوك ؟

لوكا : (**يتنهد**) أنت لست طيبة القلب .

(**تتجه فاسيليسا نحو باب غرفة بيبـل . يطل اليوشكا برأسـه من باب المطبـخ ويهمـس : « هل ذهبت ؟ »**)

فاسيليسا : (**تتجه نحوه**) أنت ما زلت هنا ؟

(**يصفر اليوشكا بصوت حاد ويختفى . ناستيا ولوكا يضحكان**)

ببنوف : (**الى فاسيليسا**) ليس هنا .

فاسيليسا : من ؟

بينوف : فاسيا .

فاسيليسا : هل سألتك أين هو ؟

بينوف : أراك تحومين فى الغرفة .

فاسيليسا : أريد أن أتأكد أن كل شيء على ما يرام . **فهمت ؟** لماذا لم تكنسوا الأرض ؟ **كم مرة أمرتكم أن تجعلوا** هذا المكان نظيفاً دائماً ؟

بينوف : دور الكنس اليوم على الممثل .

فاسيليسا : لا يهمنى دور من هو . اذا جاء مفتش الصحة وعاقبنى بغرامة سأطردكم كلكم .

بينوف : **(بهدوء)** وعلام تعيشين اذن ؟

فاسيليسا : لا أريد أن أرى بقعة واحدة على الأرض **(متجهة ناحية المطبخ وهى تتحدث الى ناستيا)** لماذا أنت حزينة هكذا وبوزك منفوخ ؟ واقفة كالصنم ! اكنسى الأرض ! هل رأيت ناتاشا ؟ هل جاءت هنا ؟

ناستيا : لا أعرف . لم أرها .

فاسيليسا : بينوف ! هل جاءت أختى هنا ؟

بينوف : **(مشيراً الى لوكا)** جاءت به .

فاسيليسا : وهذا الرجل .... **هل كان هنا ؟**

بينوف : فاسيا ؟ كان هنا . ولكن ناتاشا لم تتحدث مع أحد الا كليش .

فاسيليسا : لم أسألك مع من كانت تتحدث . قذارة فى كل مكان ! وساخة ! مجموعة حلاليف ! نظفوا هذا المكان . هل سمعتم ؟

(تخرج بسرعة)

بينوف : هل رأيتم أبداً امرأة بهذه الدناءة ؟

لوكا : امرأة لا يمكن استغفالها !

ناستيا : أى واحد يعيش عيشتها لابد أن يكون دنيئاً . اذا ارتبطت أى امرأة بزوج كزوجها ...

بينوف : ليست مرتبطة به ارتباطاً وثيقاً .

لوكا : هل تنفجر دائماً هكذا ؟

بينوف : دائماً . جاءت لترى عشيقها فلم تجده .

لوكا : هذا يغيظ بالطبع **(يتنهد)** آه ، آه ، آه ! ما أكثر الناس الذين يحاولون تصريف شئون أرضنا هذه ، وكلهم يوجهون تهديدات مخيفة ! ومع ذلك ، لا نظام ولا نظافة !

بينوف : يريدون النظام ولكن ليس لديهم عقل لتحقيقه . على كل حال لا بد من كنس الأرض . ناستيا ! لماذا لا تكنسينها ؟

ناستيا : لماذا فى رأيك ؟ هل أنا خادمة غرفتك ؟ **(بعد لحظة صمت)** سأسكر اليوم .... سأسكر طينة .

بينوف : هذا نوع من العمل على الأقل .

لوكا : لماذا تريدين أن تسكرى يا بنتى ؟ منذ لحظة قصيرة كنت تبكين ، والآن تقولين انك تريدين أن تسكرى .

ناستيا : **(متحدية)** سأسكر وأبدا فى البكاء من جديد . هذا كل ما فى الأمر .

بينوف : ليس هذا بالكثير .

لوكا : ولكن ما السبب ؟ حتى الدمل له سبب .

(تهز ناستيا رأسها فى صمت)

لوكا : آه ، آه ، آه . هؤلاء الناس ! ماذا سيكون مصيركم ؟ سأكنس الأرض لكم . أين المكنسة ؟

بينوف : خلف الباب فى الطرقة .

(يخرج لوكا الى الردهة)

بينوف : ناستيا !

ناستيا : ماذا ؟

بينوف : لماذا ثارت ڤاسيليسا على اليوشكا بهذا الشكل ؟

ناستيا : راح يقول لكل واحد ان ڤاسيا سئمها وانه سيتخلى عنها من أجل ناتاشا . خير لى أن أترك هذا المكان . . . أنتقل الى مكان آخر .

بينوف : ماذا تقولين ؟ الى أين ؟

ناستيا : سئمت كل هذا . لا مكان لى هنا .

بينوف : **(ملاطفاً)** ولا فى أى مكان آخر . لا مكان لأى واحد على هذه الأرض .

(تهز ناستيا رأسها ، ثم تنهض
وتخرج فى هدوء الى الردهة .
يدخل ميدڤيديف يتبعه لوكا
ومعه المكنسة)

ميدڤيديف : لا اظن أننى أعرفك .

لوكا : وهل تعرف الآخرين جميعا ؟

ميدڤيديف : المفروض أننى أعرف كل الناس فى منطقتى . ولكننى لا أعرفك .

لوكا : ليست الأرض كلها داخلة فى منطقتك . هذا هو السبب يا عم . هناك جزء صغير يقع خارج هذه المنطقة .

(يخرج الى المطبخ)

ميدڤيديف : **(يتجه الى بينوف)** قد لا تكون منطقتى كبيرة ، ولكنها العن من منطقة كبيرة . منذ لحظة اضطررت الى أخذ أليوشكا الاسكافى الى مركز الشرطة . فماذا تظنون السبب ؟ لقد نام فى وسط الشارع وراح يعزف على الاكورديون ويصيح « لا أريد منكم شيئاً » . وبالطبع كانت تسير فى الشارع خيول وعربات وغيرها . كان محتملا أن تدوسه احداها . هو شاب مشاغب . ولكننى أدبته . يظهر أنه يحب الشغب .

بينوف : هل تلعب عشرة طاولة الليلة ؟

ميدڤيديف : لا مانع ..... وما أخبار هذا الـ « ڤاسيا » ؟

بينوف : لا جديد . كالمعتاد .

ميدڤيديف : أو بعبارة أخرى حى يرزق ؟

بينوف : ولماذا لا ؟ ما من سبب يحول دون أن يكون حيا يرزق ؟

ميدڤيديف : **(فى ارتياب)** هل تظن ذلك ؟ **(يخرج لوكا الى الردهة يحمل دلواً)** الناس تتهامس بكلام عن ڤاسيا . هل سمعته ؟

بينوف : أنا أسمع كلاماً كثيراً .

ميدڤيديف : عنه هو وڤاسيليسا . يظهر...أ... ألم تلاحظ شيئاً ؟

بينوف : ماذا ... مثلا ؟

ميدڤيديف : أي شيء . لعلك تعرف ولا تريد أن تخبرني . كل واحد يعرف **(بشدة)** لا تكذب !

بينوف : ولماذا أكذب ؟

ميدڤيديف : اذن فاسمعوا أيتها الكلاب القــذرة ! يقولون ان ڤاسيا وڤاسيليسا ... أنتم تعرفون . ولكن ماذا يهمنى ؟ أنا لست أباها .... ما أنا الا خالها . فلماذا يسخر الناس منى ؟ **(تدخل كڤاشنيا)** ماذا دها الناس أخيراً ؟ يسخرون من كل واحد . آه ... أنت . عدت بسرعة . هه ؟

كڤاشنيا : الشرطة العظيمة المحترمة المبجلة ! عاد يلاحقنى ويضايقنى فى السوق يا بينوف . لا يرضيه الا أن أتزوجه .

بينوف : تزوجيــه . لم لا ؟ معــه مال ، ولم يبلغ ســن الشيخوخة بعد .

ميدڤيديف : أنا ؟ ههو !

كڤاشنيا : أنت أيهــا الذئب العجوز ! لا تتحدث عن نقطتى الحساسة . لقد جربته من قبل ... الزواج ! هو كالقفــز فى حفرة فى الجليــد . اذا جــربته فلن تنساه .

ميدڤيديف : أوه ... الأزواج يختلفون .

كڤاشنيا : أما أنا فلا أتغير . بمجرد ما مات نصفى العزيز الأفضل ، ألا فليستقر فى جهنم ، خلوت الى نفسى يوماً بطــوله وأنا فى نعيم ، أحاول أن أقنع نفسى بتصديق حسن حظى .

ميدڤيديف : اذا كان زوجك قد ضربك بدون سبب وجيه ، كان يجب أن ترفعى أمره الى الشرطة .

كڤاشنيا : رفعت أمره الى الله ثمانى سنوات ، فلم يساعدنى.

ميدڤيديف : القانون يحرم ضرب الزوجة . والقوانين صارمة فى هذه الأيام . القانون والنظام ! يجب ألا يكون الضرب الا لسبب وجيه ... للمحافظة على النظام فحسب .

لوكا : **(داخلا يجر آنا)** هل رأيت ؟ ... وصلنا . كيف تستطيعين بجسمك هذا أن تمشى وحدك ... ورجلاك ترتجفان ؟ أين مكانك هنا ؟

آنا : **(تدله على مكانها)** أشكرك يا جدى .

كڤاشنيا : اليكم امرأة متزوجة . أنظروا اليها .

لوكا : ان جسمها كله يرتجف . المسكينة ! سمعتها وهى تئن ، ووجدتها متشبثة بالحائط ، تجاهــد لكى تشق طريقها فى الطرقة . يجب ألا تجعلوها تمشى هكذا وحدها .

كڤاشنيا : سامحنا واغفر لنا هذا الاهمال ياسيدى الطيب ، يظهر أن خادمة غرفتها فى أجازة اليوم .

لوكا : استمعوا اليها . تقلب الحكاية نكتة . لا يمكن أن تفعلوا ذلك بانسان . كل انسان له وزن وقيمة ، مهما تكن هذه القيمة ضئيلة .

ميدڤيديف : يجب أن تراعوها . ماذا اذا ماتت فجأة ؟ سيكون ذلك مصدر مضايقة كبيرة . لا تجعلوها تغيب عن أعينكم .

لوكا : كلام فى محله يا شاويش .

ميدڤيديف : اسمع . أنا لم أصبح شاويشاً بعد ، ولكن ....

لوكا : ما هذا ؟ ان مظهرك يدل ....

(ضجة واضطراب فى الردهة . تسمع صيحات مختنقة)

ميدڤيديف : مشاجرة ؟

بينوف : يبدو هذا .

كفاشنيا : سأذهب لأرى .

ميدڤيديف : لابد أن أذهب أنا أيضاً . أوه ... الواجب ! لست أدرى لماذا يجب أن نخلص من يتشاجرون بعضهم عن بعض . سيكفون عن القتال من تلقاء انفسهم عندما يشعرون بالتعب . الأفضل أن نتركهم يصفع بعضهم بعضاً كما يحلو لهم . سيظل ذلك أمراً يتذكرونه ولن يتلهفوا على القتال مرة أخرى .

بينوف : **(ينزل من على مصطبته)** تحدث الى رئيسك عن هذا .

كوستليوف : **(يصفق الباب فيفتحه ويصيح)** أبرام ! تعال بسرعة ! ناتاشا فى قبضة ڤاسيليسا . ستقتلها . أسرع .

(كفاشنيا وميدڤيديف وبنوف يندفعون الى الردهة . يهز لوكا رأسه ويحملق وراءهم)

أنا : آه يارب ! مسكينة يا ناتاشا !

لوكا : من الذين يتقاتلون ؟

أنا : صاحبتا الملك . شقيقتان .

لوكا : **(ذاهباً الى أنا)** وعلام يتقاتلان ؟

أنا : لا شيء على وجه الخصوص . كل ما فى الأمر ان نشاطهما زائد عن الحد .

لوكا : ما اسمك ؟

أنا : أنا . أنا أطيل النظر اليك ... أنت تذكرنى بأبى ... حنون وطيب .

لوكا : قاسيتُ كثيراً فى هذه الدنيا . وذلك ما يجعلنى حنوناً هكذا **(تصدر عنه ضحكة متقطعة)** .

ستار

الفصل الثاني

(المنظر السابق . فى المساء . ساتين ، وكريفوى زوب ، والبارون ، والتترى يلعبون الورق بالقرب من الفرن . بينما كليش والممثل يتفرجان . بينوف وميدفيديف يلعبان الشطرنج جالسين فوق مصطبة بينوف . لوكا جالس الى جوار انا . يضىء النزل مصباحان . أحدهما معلق على الحائط بالقرب ممن يلعبون الورق . والثانى فوق مصطبة بينوف) .

التترى : سالعب دوراً آخر . سيكون آخر دور .

بينوف : زوب ! غن لنا أغنية !

(يغنى)

كل يوم الشمس تظهر . . .

زوب : **(يغنى معه)** .

وزنزانتى كئيبة وسودة . . .

التترى : **(يخاطب ساتين)** فنط الورق . فنطه جيداً . فنحن نعرف طريقتك فى اللعب .

بينوف } معاً : نين ونهار الحارس يزغر
زوب } : آ . . . ه
يراقب الزنزانة السودة .

أنا : مشاجرات ... اهانات ... لا شيء غير ذلك . هذا هو كل ما رأيته .... كل ما عرفته .

لوكا : يا عزيزتى المسكينة ! لا تجزعى !

ميدڤيديف : ايه ! لماذا هذه النقلة ؟ حاسب !

بينوف : آه . . .

التترى : **(يهز قبضة يده فى وجه ساتين)** لماذا تخفى هذه الكروت ؟ هه ؟ أنت يا ملعون . . .

زوب : لا داعى للغضب يا حسن . فهمـا سـيغشان فى اللعب على أى حال . غن يا بينوف . غن .

أنا : لم آكل أبداً الى حد الشبع .... كنت دائماً أعد كل كسرة خبز آكلها . . . كنت دائماً أرتعد من الخوف خشية أن آكل أكثر مما يأكل الشخص الآخـر ... لم البس أبداً الا الخـرق البالية . لماذا ؟

لوكا : يا مسكينة ! هل أنت متعبة ؟ سيكون كل شيء على ما يرام .

الممثل : **(مخاطباً زوب)** ارم الولد ... الولد يا خايب !

البارون : ونحن معنا الشايب .

كليش : دائماً ورقهم أحسـن من ورقكم !

ساتين : هذه عادة تعودنا عليها .

ميدڤيديف : ملك !

بينوف : وأنا أيضاً . فما رأيك ؟

أنا : وهأنذى الآن أموت . . .

كليش : هل رأيت ؟ هل رأيت ؟ اخرج من اللعب ياحسن . أخرج من اللعب قلت لك .

الممثل : ألا يستطيع هو أن يفكر لنفسه ؟

البارون : حاسب يا أندريه ، والا قذفت بك الى جهنم !

التترى : هيا . فرق من جديد . تيجى تصيده يصيدك . هذه هى حالى .

(يهز كليش قبضته
ويتجه الى بينوف)

أنا : أسائل نفسى دائماً : يا رب ، هل يستمر هـذا العذاب فى الآخرة أيضاً ؟ هناك أيضاً ؟

لوكا : لا . لا . لن تتعذبى هناك يا عزيزتى . نامى فى سـلام . سـيكون كل شيء على ما يرام . ستستريحين هناك كل الراحة . عليك بمزيد من الصبر ... علينا جميعاً بالصبر ... كل على طريقته .

(ينهض ويسير نحو المطبخ
فى خطوات قصيرة سريعة)

(يغنيان) .

بينوف وزوب معـاً : راقب زنزانتى راقب ...
انا مش حاهرب أبداً ...
انا عاوز نسيم الحرية ...
آ ... ه ...
لكن السلاسل تقيلة عليه ...

التترى : (صائحا) آها ! تخبىء الكرت فى كمك !

البارون : (فى شيء من الارتباك) واين تنتظر منى ان اضعه ؟ فى انفك ؟

الممثل : (محاولا اقناعه) انت غلطان يا حسن . لم يحاول ابداً أن ...

التترى : آه ، فهمت . غش . لن ألعب !

ساتين : (يلم الورق) طيب ، اخرج يا حسن . كنت تعلم اننا نغش . فلماذا لعبت معنا ؟

البارون : خسر عشرين كوبك ويصرخ كما لو كانت ثلاثة روبلات ! ويسمى نفسه تترياً !

التترى : (غاضباً) لا بد أن يكون اللعب سليماً .

ساتين : لماذا ؟

التترى : ماذا تعنى لماذا ؟

ساتين : أعنى ما قلته ... لماذا ؟

التترى : أنت لا تعرف ؟

ساتين : لا ... لا أعرف . هل تعرف انت ؟

(يبصق التترى غاضباً فضحك منه الآخرون)

زوب : (دون ان ينزعج) انت مجنون ياحسن . الا تستطيع ان ترى انهما اذا حاولا أن يلعبا بشرف ، ماتا جوعاً فى ثلاثة أيام ؟

التترى : لا يهمنى هذا . لا بد أن يعيشوا بشرف .

زوب : سنتركك لأوهامك . هيا يا بينوف . لنذهب لنشرب الشاى .

بينوف : (يغنى) آه ... من سلاسل الحديد ...
وآه .... من حارس السلاسل ...

زوب : هيا يا حسن .

(يخرج وهو يغنى)

سلاسل حديد لا تنكسر ولا تنفك .

(يهز التترى قبضته فى وجه البارون ثم يخرج فى اثر زميله)

ساتين : (يخاطب البارون ضاحكا) مرة اخرى يا صاحب الشرف الشريف ينكشف أمرك . چنتلمان مثقف مثلك ، لا يعرف كيف يخفى الكرت فى كمه ؟

البارون : (يهز كتفيه) لا أدرى كيف حدث ذلك !

الممثل : تنقصك الموهبة . انت لاتثق بنفسك . بدون هذه الثقة ... لا شيء . فشل .

ميدفيديف : معى حصان ، ومعك اثنان .

ببنوف : ومع ذلك تستطيع أن تكسب ان كنت بارعاً . الدور عليك .

كليش : أنت خسرت بالفعل يا أبرام اڤانتش !

ميدڤيديف : لا تتدخل فى هذا ! سامع ؟ اخرس !

ساتين : المكسب .... ٥٣ كوبك .

الممثل : لى فيها ثلاثة . وماذا أفعل بثلاثة كوبك ؟

لوكا : **(آتياً من المطبخ)** الآن وقد جردتم التترى من نقوده ، ستذهبون الى الشرب على ما أظن ؟

البارون : تعال معنا .

ساتين : أحب أن أرى ما تكون عليه حالك وأنت سكران ؟

لوكا : لن أكون خيراً منى وأنا فى وعيى .

الممثل : تعال معنا أيها العجوز . سأسمعك بعض القصائد .

لوكا : وما هذا ؟

الممثل : شعر .

لوكا : شعر ؟ وما حاجتى الى الشعر ؟

الممثل : يمكن أن يكون ممتعاً . ويمكن أن يكون حزيناً .

ساتين : هل أنت آت أيها الشاعر ؟

(يخرج مع البارون)

الممثل : أنا آت . سألحق بك . استمع الى هذا أيها العجوز . هذه أبيات من قصيدة . أوه ... لا أستطيع أن اتذكر البداية . لا أستطيع ان اتذكر **(يدلك جبهته)** .

ببنوف : طار حصانك ! العب .

ميدڤيديف : ما كان يجب ان انقل هذا الحصان ! فى داهية !

الممثل : فيما مضى ، قبل أن يتسمم بدنى بالكحول كانت لى ذاكرة جيدة أيها العجوز . اما الآن ... فقد انتهى كل شىء بالنسبة لى . كنت دائماً أرج المسرح بهذه الأبيات . وكان التصفيق يدوى كالرعد . وانت لاتعرف معنى التصفيق ياصديقى التصفيق كالڤودكا . وكنت اخرج للجمهور واقف هكذا **(يمثل)** كنت اقف هكذا ... ثم ... **(يصمت)** لا استطيع ان اتذكر ولا كلمة ... ولا كلمة . وتلك كانت قصيدتى المفضلة . هذه مسألة محزنة ، أليس كذلك يا عجوز ؟

لوكا : هى محزنة فعلا ما دامت كانت قصيدتك المفضلة . انت تسكب روحك فى الشىء الذى تفضله .

الممثل : انا سكبت الخمر فى روحى يا عجوز . انا هالك . ولماذا ؟ لاننى لم اكن اثق بنفسى . انا انتهيت .

لوكا : هذا لا شىء . كل ما عليك ان تفعله هو أن تعالج نفسك . انهم يشفون الناس من الادمان الآن ، الم تسمع بذلك ؟ يشفونهم بدون مقابل . لقد فتحوا مركزاً للعلاج حيث يعالجونهم مجاناً .

لأنهم يرون أن المدمن بشر ، ويسرهم أن يروه يريد الشفاء . اذهب هناك اذن . اذهب وجرب .

المثل : (فى تفكير) أين ؟ أين هذا المكان ؟

لوكا : فى مدينة ... مدينة لا أذكر اسمها . اسمها غريب . انتظر .... على أى حال ، سأتذكر الاسم . وفى نفس الوقت استعد . تخل عن الفودكا . سيطر على نفسك وتجلد . وعندئذ ستذهب للعلاج وتبدأ الحياة من جديد . ألن يكون ذلك رائعاً ؟ من جديد ! صمم وانو . مرة واحدة . بلا رجعة .

المثل : (مبتسماً) من جديد ! أبداً من جديد ! نعم . هذا يبدو رائعاً . من جديد ! (يضحك) طبعاً ! أستطيع أن أفعل ذلك . الا تظن اننى أستطيع ان أفعل ذلك ؟

لوكا : بالطبع تستطيع . يستطيع الرجل أن يفعل اى شىء ، اذا كان لابد من فعله .

المثل : (كما لو كان يستيقظ فجأة) أنت مهفوف بعض الشىء ، أليس كذلك يا عجوز ؟ الى اللقاء الآن (يصفر) الى اللقاء يا عجوز (يخرج) .

أنا : يا جدى .

لوكا : ماذا يا عزيزتى ؟

أنا : كلمنى .

لوكا : (يذهب اليها) طيب . سيكون بيننا حديث لطيف .

(يرقبهما كليش ثم يذهب الى زوجته فى صمت . ينظر اليها ويأتى ببعض الحركات بيديه كما لو كان يريد ان يقول شيئاً) .

لوكا : ماذا بك يا أخ ؟

كليش : (لا يكاد يبين) لا شىء .

(يتجه بطيئاً نحو باب الردهة حيث يقف امامه متردداً بضع ثوان ، ثم يخرج بغتة) .

لوكا : (يتبعه بعينيه) موقف صعب بالنسبة لزوجك هذا .

أنا : لا أستطيع أن أفكر فيه الآن .

لوكا : هل كان يضربك كثيراً ؟

أنا : بمنتهى القسوة . بسببه صرت الى هذه الحال .

بينوف : كان لزوجتى عشيق . الوغد ! كان يجيد لعب الشطرنج .

ميدفيديف : ممم ...

أنا : جدى ... ارجوك .... كلمنى ... أنا فى حال سيئة جداً ....

لوكا : هذا لا شىء . فهو شعور طبيعى قبل الموت يابنتى . سيكون كل شىء على مايرام ياعزيزتى .

لا تفقدى الأمل . اسمعى .... ستموتين الآن ... هـه ... ويكون كل شيء هادئاً آمناً . لن تجدى ما تخشينه بعد الآن ، لا شيء تخافينه بالمرة . فنامى الآن فى هدوء وسلام . فالموت رحيم بنا نحن الفانين . الموت يمحو كل الغضون . نعم . ولذلك يقولون عنه انه راحة أبدية . وهذه هى الحقيقة يا عزيزتى ، فأين يتسنى لانسان أن يجد راحة فى هذه الدنيا ؟

(يدخل پيل . كان يشرب . يبدو أشعث الشعر ، مكتئباً . يرتمى على احدى المصاطب بجوار الباب حيث يجلس ساكتاً بلا حراك)

انا : ولكن فى هذا العالم الآخر ... هل نتعذب أيضاً ؟

لوكا : لن يكون هناك شيء من ذلك . لا شيء أبداً . ما عليك الا أن تصدقينى . هدوء وسلام ولا شيء غير ذلك . سيستدعونك أمام الرب ويقولون له : هذه خادمتك المطيعة المؤمنة جاءت اليك .

ميدڤيديف : **(بشدة)** وكيف تعرف ما سيقولونه هناك ؟ أمرك عجيب !

(عند سماع صوت ميدڤيديف ، يرفع پيل رأسه ويصغى)

لوكا : ما دمت اقول شيئاً فلا بد اننى اعرفه يا شاويش ...

ميدڤيديف : **(هادئاً)** ممم ... ربما . اظن هذا يدخل فى نطاق معرفتك . ولكننى قلت لك انا لست شاويش . لم أصبح شاويش بعد .

بينوف : هذا هو الوثب العالى .

ميدڤيديف : يا ابليس ! أرجو أن ...

لوكا : وسيشملك الله بعطفه ورحمته ويقول : بالطبع انا اعرف أنا . وسيقول : خذوا أنّا الى الجنة . نعم هذا ما سيقوله . دعوها تأخذ نصيبها من الراحة فأنا أعرف ما لقيته فى حياتها من شقاء . أنا أعرف مقدار تعبها . فليكن لها الآن الأمن والسلام .

انا : **(تشهق)** أوه ، جدى .. يا جدى العزيز ... لو كان الأمر كذلك حقاً ! لو كان هناك ... أمن ... وسلام ... فلا أشعر بشيء من ...

لوكا : لن تشعرى بشيء يا عزيزتى . لا شيء بالمرة . صدقينى . يجب أن تموتى الآن وانت سعيدة دون أن تخشى شيئاً . فالموت كما قلت لك ياابنتى أب رحيم بنا نحن أبناءه .

انا : ولكن ... ربما ... ربما أستعيد صحتى ؟

لوكا : **(يبتسم مستعيذاً)** لماذا يا عزيزتى ؟ لتتعذبى من جديد ؟

أنا : **لأعيش ... ولو قليلا ... ولو أطول قليلا ...** ما دمت تقول انه لا يوجد هناك عذاب ... فأنا أستطيع أن أتحمل الحياة هنا ... أستطيع .

لوكا : لن يكون هناك شيء أبداً . كل ما ...

پپل : (**ينهض**) أنت على حق . ولكن ربما ... تكون مخطئاً .

أنا : (**فزعة**) يا حفيظ ! يا حفيظ !

لوكا : ماذا تقول أيها الرجل النبيه ؟

ميدڤيديف : من الذى يصيح ؟

پپل : (**يتجه اليه**) أنا . فماذا تريد ؟

ميدڤيديف : يجب ألا تصيح . هذا هو ما أريد . يجب أن يتصرف الانسان فى هدوء

پپل : جعجاع ! وأنت خالهما ! هوه ... هوه !

لوكا : (**يخاطب پپل لاهثاً**) كف عن الصياح . هل تسمعنى ؟ هذه المرأة تموت . لقد اصفر لون شفتيها فعلا . دعها فى حالها .

پپل : احتراما لك يا جدى ! أنت رجل شاطر يا جدى . تكذب ببراعة . ومن الجميل الاستماع الى حكاياتك الخرافية . هيا ... استمر فى الكذب . لا بأس . فما أقل الأشياء السارة التى نسمعها فى هذه الدنيا .

بينوف : هل صحيح أنها تموت ؟

لوكا : اظن هذا .

بينوف : هذا يضع حداً لسعالها . سعال فظيع . الوثب العالى !

ميدڤيديف : أوه ! فليأخذك الشيطان !

پپل : أبرام !

ميدڤيديف : من أذن لك أن تنادينى باسمى الأول ؟

پپل : أبرام . هل ناتاشا مريضة ؟

ميدڤيديف : وما دخلك فى هذا ؟

پپل : من الخير أن تخبرنى . هل ضربتها ڤاسيليسا ضرباً شديداً ؟

ميدڤيديف : لا شأن لك فى هذا . هذه مسألة عائلية . من أنت حتى تتدخل فى ذلك ؟

پپل : بغض النظر عمن اكون ، أستطيع أن أجعل نظرك لا يقع على ناتاشا أبداً اذا شئت أنا هذا .

ميدڤيديف : (**يترك الشطرنج**) ماذا ؟ ماذا تقول؟ الى من تتكلم؟ ناتاشا بنت أختى . يا لص !

پپل : قد أكون لصاً . ولكنك لم تضبطنى .

ميدڤيديف : انتظر . سأضبطك . سريعاً .

پپل : اذا ضبطتنى ، جاءت نهاية عشك الصغير هذا . هل تظن أننى لن أفتح فمى فى المحكمة ؟ سيكشف الذئب عن مخالبه . سيسألوننى : من الذى علمك كيف تسرق ودلّك على الأماكن التى تسرقها ؟

مشكا كوستليوف وزوجته . من الذى كان يتلقى مسروقاتك ، مشكا كوستليوف وزوجته .

ميدڤيديف : أنت كذاب ! لن يصدقك أحد !

پپل : بل سيصدقوننى لأن هذه هى الحقيقة . وسأجر رجلك أنت أيضاً ... هه ! سأقضى عليكم جميعاً يا أولاد الزنا ! سترى !

ميدڤيديف : **(مرتعباً)** كذاب ! أنت كذاب ! هل اسأت اليك أنا أبداً ؟ تهاجمنى كالكلب المسعور !

پپل : وهل أحسنت أنت الىَّ أبداً ؟

لوكا : ممم ــــ ...

ميدڤيديف : **(الى لوكا)** علام تزوم ؟ ما دخلك فى هذا ؟ هذه مسألة عائلية .

بينوف : **(الى لوكا)** ابعد عن هذا . حبل المشنقة ليس لك ولا لى .

لوكا : **(ملاطفاً)** نعم . كنت أريد أن أقول ان الشخص الذى لا يحسن الى جاره ، يسىء اليه .

ميدڤيديف : **(وقد فاتته هذه الحكمة)** نحن هنا ... نحن كلنا يعرف أحدنا الآخر . ولكن أنت ... من أنت ؟ **(ينصرف غاضباً)**

لوكا : يبدو أن السيد غاضب . ان علاقاتكم هنا أيها الاخوان فيها شىء من اللخبطة .

پپل : لقد جرى ليخبر ڤاسيليسا .

بينوف : أنت أحمق يا ڤاسيا . تريد أن تظهر شجاعتك ؟

حاسب ! لا بأس بأن تكون شجاعاً عندما تخرج الى الغابات لتجمع « عيش الغراب » . ولكن الشجاعة لا معنى لها هنا . سيقطعون رأسك فى غمضة عين .

پپل : أوه ، لا . لن يفعلوا ذلك . لن يستطيع أحد أن يقضى على رجل من « باروسلاڤل » بيديه المجردتين . أما اذا أرادوها معركة ، كان لهم ما أرادوا .

لوكا : اسمع ، الا ترى من الأفضل أن تغادر هذا المكان يا بنى ؟

پپل : والى اين اذهب ؟ أجبنى على هذا السؤال .

لوكا : سيبيريا مثلا .

پپل : لا ، لست أنا الذى يذهب الى سيبيريا . سأنتظر الى أن يرسلونى اليها مجاناً .

لوكا : اسمع نصيحتى وسافر الى سيبيريا . فهناك ستسلك الطريق المستقيم . فهم هناك فى حاجة الى ناس مثلك .

پپل : طريقى مرسوم لى من زمان . فقد قضى أبى معظم حياته فى السجن وأمرنى بأن أقتدى به . ومنذ صغرى يسمينى الناس «اللص» أو «ابن اللص» .

لوكا : سيبيريا مكان جميل . أرض ذهبية . واذا كان الرجل قوياً وذا عقل راجح ، استطاع أن يشق طريقه وأن يترعرع فى ذلك المكان .

پيل : لماذا تقص هذه الأكاذيب ايها الرجل العجوز ؟

لوكا : ايه ؟

پيل : أصم ! لماذا تقص هذه الاكاذيب ؟

لوكا : ما هى الأكاذيب التى قصصتها ؟

پيل : كل ما تقوله كذب . كل شيء بالنسبة لك جميل ورائع : هـذا المكان ، وذلك المكان . كله كذب . ما الذى يجعلك تقص هذه الأكاذيب ؟

لوكا : كل ما عليك هو ان تصدق ما أقوله وأن تذهب الى هناك لترى بنفسك . وعندئذ ستشكرنى . لماذا تبقى هنا ؟ ولماذا تتحرق شوقاً الى معـرفة الحقيقة ؟ قد تنقلب الحقيقة فأساً تحطم راسك .

پيل : سيان عندى . اذا كانت فاساً ، فهى فاس .

لوكا : يا أحمق ! لا معنى لأن تقتل نفسك .

ببنوف : علام تتناقشان ؟ هل تسعى وراء الحقيقة يا فاسيا؟ لماذا ؟ أنت تعرفها دون أن يخبرك بها أحد . كلنا نعرفها .

پيل : لا داعى لتعبيك هـذا . فليخبرنى هو . اسمع ايها العجوز ... هل يوجد اله ؟

(يبتسم لوكا دون أن يقول شيئاً)

ببنوف : الناس اشبه بقطع من الخشب طافية على سطح الماء .... وهذه القطع تتطاير بينما يجرى بناء البيوت .

پيل : تكلم ... هل يوجد اله ؟ اجب .

لوكا : (فى هـدوء) يوجد ، اذا كنت تؤمن بوجوده ولا يوجد ، اذا لم تكن تؤمن بوجوده . أن ما تؤمن به هو الذى يوجد .

(يحملق پيل فى العجوز فى عجب صامت)

ببنوف : انا ذاهب لأشرب الشاى . هل يأتى معى احد ؟

لوكا : **(الى پيل)** فيم تحملق ؟

پيل : لا شيء . اسمع . أنت تقصد ...

ببنوف : اذن سأذهب وحدى .

(يتجه نحو الباب فيلتقى بفاسيليسا)

پيل : بعبارة أخرى ، أنت ...

فاسيليسا : **(الى ببنوف)** هل ناستيا هنا ؟

ببنوف : لا **(يخرج)**

پيل : آه ، هذه هى .

فاسيليسا : **(ذاهبة الى آنا)** ما زالت حية ؟

لوكا : لا تزعجيها .

فاسيليسا : ماذا تفعل أنت هنا ؟

لوكا : أستطيع أن أرحل اذا أردت .

فاسيليسا : **(ذاهبة نحو باب غرفة پيـل)** فاسيا ، اريد ان احدثك فى مسألة .

(يذهب لوكا نحو باب الردهة فيفتحه ثم يصفقه فيغلق . يصعد بحذر فوق احدى المصـاطب ومنهـا الى الفرن)

ڤاسيليسا : **(من غرفة پيل)** ڤاسيا ، تعال هنا .

پيل : لا رغبة لى فى هذا .

ڤاسيليسا : ماذا حدث ؟ لماذا أنت غاضب ؟

پيل : متضايق . سئمت كل هذا .

ڤاسيليسا : سئمتنى أيضاً .

پيل : نعم ، أنت أيضاً .

(تحكم ڤاسيليسا الشال حول كتفيها ضاغطة بيديها على صدرها . تذهب الى سرير آنا وتنظر من خلال الناموسية ثم تتجه الى پيل)

پيل : قولى ما تريدين قوله .

ڤاسيليسا : وماذا أقول ؟ لا أستطيع أن أجعلك تحبنى ، وليس من طبيعتى الاستجداء . أشكرك لمصارحتى بالحقيقة .

پيل : أية حقيقة ؟

ڤاسيليسا : انك سئمتنى . أم لعلها ليست الحقيقة .

(يحدق فيها پيل دون ان يتكلم)

ڤاسيليسا : الام تنظر ؟ ألا تعرفنى ؟

پيل : **(وهو يتنهد)** انت جميلة جداً يا ڤاسيليسا **(تضع يده على كتفه ولكنه يزيحها)** ولكنك لم تفوزى بقلبى أبداً . عشت معك ، الى آخر ما هناك ، ولكننى لم أحبك أبداً .

ڤاسيليسا : **(لاهثة)** هكذا . طيب . . .

پيل : وليس بينى وبينك ما نتحدث عنه . لا شىء بالمرة . ابعدى عنى .

ڤاسيليسا : هل أحببت امرأة أخرى ؟

پيل : وما شأنك فى هذا ؟ اذا كنت احببت امرأة اخرى فلن أطلب منك مساعدتى فى الحصول عليها .

ڤاسيليسا : **(بلهجة ذات مغزى)** يا خسارة ! لعل فى استطاعتى أن أساعدك فى الحصول عليها .

پيل : **(بارتياب)** الحصول على من ؟

ڤاسيليسا : انت تعرف من . لماذا التغابى ؟ أنا متعودة على الحديث الصريح يا ڤاسيا **(تخفض صوتها)** أنا لا أنكر . . . أنك أهنتنى . كما لو كنت ضربتنى بالكرباج بدون سبب وبدون هدف . قلت انك تحبنى ، وعلى حين فجأة . . .

پيل : ليس على حين فجأة . كان هذا شعورى من زمن طويل . أنت لا قلب لك يا مراة . لابد أن يكون للمراة قلب . نحن الرجال وحوش ، وانتن لابد . . . لابد أن تقمن بتهذيبنا وتعليمنا . فماذا علمتنى انت ؟

ڤاسيليسا : ما فات مات . أنا ادرك أن الشخص لا يملك من أمر نفسه شيئاً . اذا كنت لم تعد تحبنى ، فسأتقبل هذا . هكذا سيكون موقفى .

پيل : اذن ، فقد انتهى ما بيننا ؟ سنفترق بسلام ، دون ضجة ؟ هذا حسن .

ڤاسيليسا : أوه ، لا . انتظر لحظة . لا تنس أننى كنت دائماً آمل أن تساعدنى على طرح هذا العبء الثقيل عن كتفى . كنت أظن أنك ستساعدنى على الفرار من زوجى ، وخالى ، ومن هذه المعيشة كلها . ولعلنى لم اكن احبك كل هذا الحب ، بقدر ما كنت أحب هذا الأمل ، فكرتى هذه ! هه ؟ كنت انتظرك لكى تنقذنى .

پيل : لا انت مسمار ، ولا انا كماشة . انا ايضاً كنت اظن ان امراة شاطرة مثلك ، نعم انت شاطرة ، انت ذكية ...

ڤاسيليسا : **(تجاهد نفسها لكيلا تقترب منه)** ڤاسيا ، فليساعد كل منا الآخر .

پيل : كيف ؟

ڤاسيليسا : **(تغتصب الكلمات فى صوت خفيض)** اختى ... انا أعلم انك تحبها .

پيل : ولهذا تضربينها ؟ حاسبى يا ڤاسيليسا ! ارفعى يدك عنها .

ڤاسيليسا : انتظر . لا تغضب . نستطيع أن نرتب كل شىء فى هدوء ، بدون غضب . ما رأيك فى ... فى ان تتزوجها ؟ سأعطيك بعض المال ، ٣٠٠ روبل .

واذا حصلت على أكثر من ذلك اعطيته لك ايضاً ؟

پيل : **(مبتعداً)** ماذا ؟ ماذا وراء ذلك ؟

ڤاسيليسا : ساعدنى فى التخلص من زوجى . . ابعد حبل المشنقة هذا عن رقبتى .

پيل : **(يصفر صفيراً رقيقاً)** اذن فهذا هو السبب ! اوه ! انت فعلا شاطرة . زوجك فى القبر ، وعشيقك فى السجن ، وانت ...

ڤاسيليسا : ڤاسيا . لماذا تكون فى السجن ؟ لا تفعل ذلك بنفسك .... ابحث عن أحد يفعل ذلك . وحتى لو فعلتها انت نفسك ، فمن الذى سيعرف ؟ ناتاشا ... فكر ... سيكون معك مال ... تستطيع أن تهرب ... سأكون انا حرة الى الأبد ... أما عن اختى فسيكون من الخير لها أن تبتعد عنى . فمن الصعب على أن أراها طول الوقت . ذلك يجعلنى أشعر بالحقد والمرارة بسببك . لا أستطيع أن امنع نفسى من ذلك . أنا اعذبها . أضربها . أضربها الى ان يبكى الناس ، حتى أنا ، لرؤيتها . ولكننى أضربها بالرغم من ذلك ، وسأظل أضربها .

پيل : انت متوحشة . وتتباهين بهذا .

ڤاسيليسا : لا . أنا لا اتباهى . كل ما فى الأمر اننى اقول الحق . فكر ، يا ڤاسيا . لقد سجنوك مرتين

بسبب زوجي هـذا ... بسبب جشـعه . انه يمتص دمى كالعلقة . يمتص دمى من أربع سنين . اى نوع من الأزواج هو ؟ ثم هو يعتصر ناتاشا ، ويعكنن عليها ويناديها يا « شحاتة » . انه يسمم بدن كل واحد .

پيل : انت ماكرة .

ڤاسيليسا : المسألة واضحة كالشمس . اذا لم تفهم مرادى فأنت اذن احمق .

(يدخل كوستليوف فى هدوء ويتسلل نحوهما)

پيل : **(الى ڤاسيليسا)** أخرجي !

ڤاسيليسا : فكر **(ترى زوجها)** ماذا تريد ؟ هل تبحث عنى ؟

(يفزع پيل وينظر الى كوستليوف نظرات وحشية) .

كوستليوف : انتما هنا ... وحدكما ؟ تتحادثان ؟ هه ؟ **(وعلى حين فجاة يدق الأرض بقدمه ويبدأ فى الصراخ)** عليك اللعنة يا ڤاسيليسا ! أنت ياشحاتة ! **(يشعر الآن بالفزع من صراخ نفسه ومن الصمت البارد الذى قوبل به هذا الصراخ)** يارب ، اغفرلى ! أنت تقودينني الى الخطيئة مرة أخرى يا ڤاسيليسا ! هأنذا أبحث عنك فى كل مكان **(يرفع صوته من جـديد)** كان يجب أن تكونى فى سريرك الآن . لقد نسيت أن تشعلى مصـباح الأيقونة ، عليك

اللعنة ! يا حلوفة ! يا صـعلوكة ! **(يلوح نحوها باصبع مرتعش . تشير ڤاسيليسا ببطء نحو باب الردهة وعيناها مثبتتان على پيل)**

پيل : **(الى كوستليوف)** اخـرج من هنـا . قلت لك اخرج .

كوستليوف : **(صائحاً)** أنا صاحب هذا المكان . اخـرج أنت يا لص !

پيل : **(فى صوت مكتوم)** قلت لك اخرج .

كوستليوف : اياك ! سأريك ! أنا سـ ...

(يمسك به پيـل من ياقته ويهزه . وفجاة يسمع صـوت شخص يتحـرك فوق الفرن ويتثاءب بصوت عال مستطيل . پيل يترك كوستليوف الذى يجرى صائحاً نحو الردهة)

پيل : **(يقفز على المصطبة المجاورة للفرن)** من هناك ؟ من فوق الفرن ؟

لوكا : **(يطل برأسه)** ايه ؟

پيل : أنت ؟

لوكا : أنا . أنا بنفسى . أوه ، يارب السموات !

پيل : **(يغلق باب الردهـة ويبحث عن الترباس دون جدوى)** اللعنة ! انزل يا عجوز !

لوكا : حالا ! نازل !

پيل : **(بخشونة)** لماذا نمت فوق هذا الفرن ؟

لوكا : وأين كنت تريد أن انام ؟

پيل : كنت خرجت الى الردهة .

لوكا : هذا مكان بارد لا يستطيع أن ينام فيه عجوز مثلى .

پيل : هل ... سمعت شيئاً ؟

لوكا : طبعاً سمعت . كان لابد أن اسمع . هل تظن اننى أصم ؟ أنت سعيد الحظ يا رجل ! أنت سعيد الحظ !

پيل : (**فى ارتياب**) لماذا تقول هذا ؟

لوكا : من حسن حظك أننى نمت فوق هذا الفرن .

پيل : لماذا أصدرت كل هذه الضجة ؟

لوكا : لم اطق الحرارة الشديدة . ولك أن تحمد الله على هذا . فقد قلت لنفسى ان هذا الشاب سينسى نفسه وسيخمد أنفاس الرجل .

پيل : كنت سأخمد أنفاسه بالتأكيد . أنا أكره هـ ....

لوكا : أنا عارف . المسألة سهلة جداً . كثيراً ما يزل الناس زلات كهذه .

پيل : (**مبتسماً**) لعلك زللت هذه الزلة فى يوم من الأيام !

لوكا : اسمع ايها الشاب ، اسمعنى . ابعد عن هذه المرأة ، احترس! احترس ! هى ستتخلص من رجلها هذا بدون مساعدتك ، وبطريقة أحسن . لا تصغ اليها ، لا تصغ الى هذه الشيطانة . انظر الى ... انظر الى راسى ... ليس فيها ولا شعرة . وما السبب ؟ النساء ! لقد عرفت من النساء فى شبابى

اكثر مما كان فى راسى من شعر . ولكن ڤاسيليسا هذه أسوأ من أى غولة !

پيل : لست ادرى هل أشكرك أم ...

لوكا : لا تقل شيئاً . لن تجد كلاماً خيراً من الذى قلته انا . استمع الىّ ... هذه الفتاة التى تحبها ... ما عليك الا أن تأخذ ذراعها وترحل . ابعد عن هنا . اذهب الى أبعد ما تستطيع .

پيل : (**متجهماً**) لا سبيل الى معرفة الناس ... أيهم طيب وأيهم شرير . لا سبيل !

لوكا : وماذا تريد أن تعرف ؟ الشخص نفسه لا يبقى على حاله . المسألة تتوقف على قلبه وما به من مشاعر . فهو اليوم طيب ، وهو غداً شرير . أما اذا كانت هذه الفتاة قد استولت على قلبك حقاً فارحل معها وليكن ما يكون . والا ، فارحل وحدك . انت ما زلت شاباً . أمامك متسع من الوقت لتحصل على امرأة .

پيل : (**يمسك به من كتفيه**) أصدقنى القول . لماذا تقول لى هذا ؟

لوكا : دعنى . سألقى نظرة على أنا . كانت تتنفس بصعوبة من لحظة (**يتجه الى سرير أنا ، ويفتح الناموسية ، ثم ينظر ، ويلمسها . يراقبه پيل فى نظرة مفكرة حائرة**) ارحمها يا رب ! يا رحيم . تقبل روح خادمتك أنا !

پيل : (**لاهثاً**) الموت ؟ (**يجاهد نفسه ويتقدم نحو السرير ليتمكن من رؤيتها ولكنه لا يستطيع أن يبلغ السرير**)

لوكا : (**برقة**) انتهى الآن عذابها . أين زوجها ؟

پيل : فى البار على ما أظن .

لوكا : لابد أن يعلم .

پيل : (**يرتعد**) أنا أكره الجثث .

لوكا : (**ذاهباً الى الباب**) ولماذا تحبها ؟ هم الأحياء الذين يجب أن نحبهم ! الأحياء لا الأموات !

پيل : سأخرج معك .

لوكا : تخاف من الجثث ؟

پيل : أكرهها .

(يهرولان الى الخارج . المسرح خال ساكت . تأتى من وراء باب الردهة أصوات غير واضحة . وفى النهاية يدخل الممثل)

الممثل : (**لا يغلق الباب بل يقف عند العتبة متكئاً على الباب وهو ينادى بصوت عال**) يا عجوز ! أين أنت ؟ لقد تذكرت الأبيات . اسمع (**يتقدم خطوتين بغير اتزان ثم يتخذ موقفاً تمثيلياً**)

اذا لم نهتد الى السبيل الذى يؤدى ...
الى مملكة الحقيقة المقدسة ....

فالخير اذن فى العقل المجنون ...
الذى يجلب للناس الأحلام المحلقة ...

(تظهر ناتاشا بالباب خلف الممثل)

الممثل : يا عجوز !

اذا كفت الشمس غداً ،
عن اضاءة الأرض باشعاعها ،
فغداً تستضىء الدنيا ،
بشخص يحلم احلام الجنون .

ناتاشا : (**تضحك**) عبيط !

الممثل : (**يتلفت اليها**) آه ، أنت ! أين العجوز ؟ الرجل العجوز الطيب ؟ لا أحد هنا . وداعاً يا ناتاشا ! وداعاً !

ناتاشا : (**تدخل**) تقول وداعاً قبل أن تقول مرحباً ؟

الممثل : (**يعترض طريقها**) أنا ... راحل . وعندما يأتى الربيع ، لن أكون بين الأحياء .

ناتاشا : دعنى أمر . الى أين تذهب ؟

الممثل : بحثاً عن مدينة معينة . سعياً وراء العلاج . أنت أيضاً لابد أن ترحلى . يا أوفيليا ، اذهبى الى دير . هناك ، فيما يبدو ، يوجد مركز لعلاج مدمنى الخمر . مكان رائع . كله مبنى من الرخام ... حتى الأرضية . براق جداً . ونظيف جداً . والطعام موفور . كله مجاناً . أرضية رخام .

تصورى ! سأعثر على هـذا المكان ، وأشـفى ، وعندئذ ... انا على وشك أن أولد من جديد ... كما قال الملك ... الملك لير . اسمى المسرحى هو « سفرتشكوف زاڤولزكى » يا ناتاشا ، ولكن لا أحد يعرفه . لا أحد . وأنا هنا لا اسم لى . هل تدركين مبلغ الألم فى أن يفقد الرجل اسمه ؟ حتى الكلاب لها أسماء ....

(تتجاوز ناتاشا الممثل بمسافة مأمونة ثم تتجه الى سرير أنا وتنظر خلال الناموسية)

الممثل : لا اسم ، لا رجل .

ناتاشا : انظر ! يا رب ! هى ميتة !

الممثل : **(يهز رأسه)** لا يمكن !

ناتاشا : **(متراجعة)** هى ميتة . انظر .

بينوف : **(بالباب)** ينظر الى ماذا ؟

ناتاشا : أنا . ماتت .

بينوف : أخيرا ، كفت عن السعال **(يتجه الى سرير أنا وينظر خلال الناموسية ثم يذهب الى مصطبته)** لابد أن نخبر كليش . فهذا شأنه .

الممثل : سأذهب أنا . لقد فقدت اسمها **(يخرج)** .

ناتاشا : **(فى وسط الغرفة)** وأنا أيضا ... فى يوم من الأيام ... سأكون مثلها ... أرقد فى قبو مظلم ... يداس بالأقدام ...

بينوف : **(ينشر بعض خرق قديمة فوق مصطبته)** ماهذا ؟ ماذا تقولين ؟

ناتاشا : كنت أكلم نفسى .

بينوف : تنتظرين ڤاسيا ؟ حاسبى ! ستموتين بسبب ڤاسيا هذا .

ناتاشا : وهل يهم بسبب من أموت ؟ فليكن هو السبب . هو أحسن من كثيرين .

بينوف : **(يضطجع)** هذا شأنك .

ناتاشا : أحسن لها بالطبع أن تموت ... ولكن مسكينة ! من أجل ماذا تعيش ؟

بينوف : الأمر سواء بالنسبة الينا جميعاً : نولد ، ونقضى حياتنا ، ثم نموت . سأموت . وأنت كذلك . فلماذا نأسى لأحد ؟

(يدخل لوكا والتترى وكريفوى زوب وكليش . كليش آخر الداخلين . يمشى ببطء وقد انحنى ظهره)

ناتاشا : شش ! أنا ...

زوب : عرفنا . فلترقد الآن فى سلام ، بعد أن ماتت !

التترى : **(الى كليش)** لابد ان نخرجها من هنا . لابد ان نخرجها الى الردهة . لا يمكن أن يبقى هنا أموات . هنا ينام الأحياء .

كليش : **(فى لهجة هادئة)** سنخرجها .

(يتجهون جميعاً الى السرير . يحملق كليش فى زوجته من فوق أكتاف الآخرين)

زوب : **(الى التترى)** هل تظن أن سيكون لها رائحة ؟ لم يبق منها شيء يبعث رائحة . فقد جف بدنها وهى ما تزال حية .

ناتاشا : يا رب ! ألا تشعرون بالأسف على الأقل من أجلها ! قولوا كلمة طيبة واحدة . ولكن ليس أنتم !

لوكا : لا تبالى بهم يا عزيزتى . كيف تنتظرين منهم ... كيف تنتظرين من أى واحد منا أن يرثى للموتى اذا كنا لا نرثى للأحياء . بل نحن لا نرثى حتى لأنفسنا ، فما بالك بالموتى ؟

بينوف : **(يتثاءب)** لا تستطيعين أن تفزعى الموت بالكلام . قد تفزعين المرض ، ولكن ليس الموت .

التترى : **(مبتعداً)** نادوا الشرطة .

كليش : لا . سيطلبون منى أن أدفنها ، وليس معى الا اربعون كوبك .

زوب : فى هذه الحالة ، أقترض بعض النقود . نستطيع أن نجمع لك بعض المال ... خمسة كوبك من كل واحد ... أى مبلغ يستطيع كل واحد أن يدفعه . ولكن أسرع وأخطر الشرطة والا ظنوا أنك قتلتها .

(يتجه ناحية المصاطب ويوشك أن يضطجع بجوار التترى)

ناتاشا : **(تتجه الى بينوف)** الآن سأحلم بها . أنا دائماً أحلم بالموتى . وأخشى أن أذهب الى البيت حدى. أردهة مظلمة .

لوكا : **(يسير وراءها الى الخارج)** الأحياء هم الذين يجب أن تخشى ، صدقينى .

ناتاشا : اصحبنى الى الخارج يا جدى .

لوكا : تعالى . تعالى . سأصحبك **(يخرجان . صمت)** .

زوب : أو هو ! يا حسن ! الربيع على الأبواب . أخيرا سنشعر بالدفء . بدأ الفلاحون فى الريف فى اصلاح محاريثهم ومجاريفهم ، يستعدون لحرث الأرض . ونحن ؟ ايه يا حسن ؟ تشخر ؟ مسلم ملعون .

بينوف : التتر يجيدون النوم .

كليش : **(يقف وسط النزل يحملق فيما أمامه بغباء)** ماذا أفعل الآن ؟

زوب : اذهب فنم . هذا كل ما فى الأمر.

كليش : **(بحنان)** وهى ؟

(لا أحد يجيب . يدخل ساتين والممثل)

الممثل : **(صائحاً)** يا عجوز ! تعال هنا يا خلى الوفى !

ساتين : أفسحوا الطريق للمكتشف العظيم !

الممثل : لقد اتخذت قراراً لا رجعة فيه . . يا عجوز ! أين هذه المدينة ؟ أين أنت ؟

ساتين : سراب ! خدعك العجوز ! لا توجد مدينة كهذه . لا مدينة . ولا ناس . ولا شيء كهذا .

الممثل : كذب !

التترى : **(يقفز من مصطبته)** أين المالك ؟ سأذهب الى المالك . لا أستطيع أن أنام ، فلماذا ادفع النقود ؟ أموات ! سكارى !

(يخرج مهرولا . ساتين يصفر خلفه)

بينوف : **(وقد دب اليه النعاس)** ناموا يا اصدقائى . كفوا عن الضجيج . المفروض أن ينام الناس بالليل .

الممثل : آه ! هنا يرقد جثمان . « لقد التقطت مصايدنا جثماناً » . شعر . من « بيرانچيه » .

ساتين : **(صائحاً)** الجثمان لا يسمع شيئاً ! الجثمان لا يحس شيئاً ! صيحوا ما شئتم ! فالجثمان لا يسمع شيئاً !

(يظهر لوكا بالباب)

ستـــار

الفصل الثالث

(فناء خلفى تناثرت فيه القاذورات والأعشاب الطويلة . سور عال من الطوب الأحمر يلتقى مع منظر السماء . أمام هذا الحائط تنمو أعشاب أطول . الى اليمين سور داكن اللون من خشب الأشجار ، لعله لورشة أو اسطبل . الى اليسار بيت كوستليوف . النزل فى البدروم . البيت رمادى اللون ، متداع ، وقد أخذ الطلاء ينهار . يبدو البيت بزاوية ، بحيث يكاد الركن البعيد منه يصل الى الوسط فى مؤخرة المسرح فلا يترك الا ممراً ضيقاً بين السور والبيت . للبيت نافذتان ، واحدة للبدروم فى مقدمة المسرح ، والأخرى أعلى منها بنحو ست أقدام فى مؤخرة المسرح . على مقربة من البيت كتلة خشب يبلغ طولها اثنى عشر قدماً . والى جوارها مركبة جليد خشبية خربة مقلوبة . ألواح وكتل من الخشب مكومة بالقرب من البيت الى اليمين . النهار يقترب من غايته ، والشمس الغاربة تلقى بأشعتها وهجاً أحمر على السور . نحن فى مطلع الربيع . والثلج لم يذب الا منذ قريب ، والأعشاب الطويلة لم تنبت لها براعم بعد . ناتاشا وناستيا جالستان على كتلة الخشب . لوكا والبارون جالسان على مركبة الجليد . كليش مستلق على كوم الأخشاب الى اليمين . نرى وجه بينوف من نافذة البدروم)

ناستيا : **(تغمض عينيها وتهز رأسها فى ايقاع يلائم التنغيم الذى تروى به روايتها)** وهكذا جاء الى الحديقة بالليل ، الى القصر الصيفى ، حسب الخطة التى رسمناها . وكنت قد طال انتظارى حتى صرت أرتعش من الخوف والأسف . وكان هو أيضاً يرتعش ، وكان شاحب اللون ، وفى يده مسدس..

ناتاشا : **(تمضغ بذور نبات عباد الشمس)** اذن فلابد أن يكون صحيحاً ما يقولونه عن اليأس الذى يشعر به الطلبة .

ناستيا : ثم قال لى فى صوت مرعب « يا حبيبتى الغالية ..

بينوف : فهو ! غالية ، هه ؟

البارون : اسكت . اذا لم يعجبك هذا الحديث فلا تستمع اليه . ولكن لا تقاطع أكاذيبها . هه ، وبعد ذلك ؟

ناستيا : قال لى « يا غالية ، يا حبيبتى . لن يوافق والداى أبداً على أن أتزوجك . فهما يهددان بأن يلعنانى الى الأبد لحبى اياك . ولهذا السبب لابد أن أنتحر » . وكان معه ذلك المسدس بكل ما فيه من رصاص . ثم قال « وداعاً يا حبيبة قلبى . لن أتحول عن قرارى . لا أستطيع العيش بدونك » . فقلت له « يا صديقى العزيز ، يا راءول » .

بينوف : **(فى دهشة)** ماذا ؟ غول ؟

البارون : **(يضج بالضحك)** لقد نسيت يا ناستيا ! آخر مرة كان اسمه جاستون .

ناستيا : **(تقفز)** اسكتوا يا حثالة . أنتم يا متشردون . أنتم لا تفهمون الحب ... الحب الصحيح . أما أنا ... فقد عرفته ... الحب الصحيح **(الى البارون)** أنت تافه . أنت وتعليمك . أنت الذى كنت تشرب القهوة فى السرير .

لوكا : اسمعوا . لا تقاطعوها . دعوها تتم قصتها . الكلمات لا تهم . وانما المهم هو ماوراء الكلمات ... هذا هو المهم . استمرى يا ابنتى . لا تبالى بهم .

بينوف : غراب بريش طاووس . طيب . فلنستمع الى الباقى .

البارون : استمرى .

ناتاشا : لا تلتفتى اليهم . من هم ؟ انهم غيورون لأنهم ليس عندهم ما يروونه عن أنفسهم .

ناستيا : **(تجلس)** لا أريد أن أستمر . لن أحكى أكثر من ذلك . ما داموا لايصدقوننى ويسخرون منى...

(تسكت فجاة ، لحظة ، ثم تغلق عينيها وتمضى فى قصتها بصوت عال منفعل ، وهى تصفق بيديها فى ايقاع كما لو كانت تستمع الى موسيقى بعيدة)

وقلت له : يا حبة عينى ! يا شمس روحى ! ولا أنا أستطيع العيش فى هذه الدنيا بدونك ، لأننى أحبك من كل روحى ، وسأظل احبك ما ظل هذا القلب ينبض فى صدرى . ولكن لا تقطع حياتك ،

تلك الحياة التى يحتاج اليها والداك العزيزان أشد الحاجة ، فأنت كل ما لهما فى الحياة . اتركنى . فالأفضل أن تنقضى حياتى فى اللهفة عليك ياحبيبى . انا وحيدة . انا ... أنا من هذا النوع . دعنى امض الى حتفى . فالأمر عندى سواء . أنا لا أساوى شيئاً . لم يبق لى شىء . لا شىء ... لا شىء ...

(تغطى وجهها بيديها وتبكى فى صمت)

ناتاشا : **(تشيح بوجهها وتخاطبها بعطف)** لا تبكى . لا تبكى .

(يبتسم لوكا ويربت على راس ناتاشا)

بينوف : **(ضاحكا)** فتاة رائعة !

البارون : **(ضاحكاً هو الآخر)** هل تظن أن هذا صحيح ياجدى ؟ هذا كله منقول من رواية «الحب القاتل» . كلام فارغ . دعها فى حالها .

ناتاشا : وما شأنك أنت ؟ اغلق فمك ما دام الله قد اراد لك أن تصير الى ما صرت اليه .

ناستيا : **(ثائرة)** انت لا روح لك ! انت لا قلب لك ! أين قلبك ؟

لوكا : **(يأخذ بيد ناستيا)** سنذهب من هنا يا عزيزتى . لا تبالى بهم . أنت التى على حق ، وليسوا هم . انا فاهم . ما دمت تعتقدين أنك جربت ذلك الحب

الصحيح ، فلأبد أن تكونى جربته بالفعل . نعم ، انت جربته فعلا . ولكن لا تغضبى من الشخص الذى تعاشرينه . لعل الغيرة هى التى تجعله يسخر منك . ولعله لم يعرف الحب الصحيح أبداً . بل لعله لم يعرف اى نوع من انواع الحب على الاطلاق . **تعالى .**

ناستيا : **(تضغط صدرها بيديها)** صدقنى يا جدى ! اقسم لك بأن هذا حدث . كل ما قلته . كان طالبا ... فرنسيا . كان اسمه جاستون . كانت له لحية طويلة سوداء . وكان يلبس حذاء طويلا . فلأمت فى هذه اللحظة اذا لم أكن قلت الحق ! كم كان يحبنى ! كم كان يحبنى !

لوكا : فاهم ، فاهم ! انا أصدقك . حذاء طويل ! ياسلام ! وكنت تحبينه ايضاً **(يختفيان)**

البارون : عاهر غبية ! قلبها طيب ، ولكننى لم أر اغبى منها !

بينوف : لماذا يكذب اى شخص بهذا الشكل ؟ وتقسم بانه الحق ، كما لو كانت فى المحكمة !

ناتاشا : الكذب الذ من الصدق ! انا ايضا ....

البارون : أنت ايضا ؟ ثم ماذا ؟

ناتاشا : أحلم وأحلم . وأنتظر .

البارون : ماذا تنتظرين ؟

ناتاشا : **(تبتسم دون وعى)** لا أدرى . اظل أحلم بأن

غداً سيأتى ... فيأتى شخص ... شخص معين . أو يحدث شيء . شيء غير عادى . واظل انتظر . دائماً انتظر . ولكن عندما أفكر فى الأمر ، اقول لنفسى ، ماذا يمكن أن يحدث ؟

(صمت)

البارون : **(بابتسامة صفراء)** لا يوجد شيء لتنتظريه . فأنا مثلا . أنا لا انتظر اى شيء . كل شيء انتهى . راح . انقضى . ثم ماذا ؟

ناتاشا : أو ارى نفسى أموت غداً على حين فجاة . وعندئذ اشعر بالبرد يسرى فى داخل بدنى . الصيف هو احسن وقت تتخيل فيه نفسك ميتاً لأنه شهر الصواعق . ومن السهل أن يصعقك البرق .

البارون : أنت تعيشين عيشة بائسة . والغلطة غلطة اختك ... لها مزاج شيطانى !

ناتاشا : ومن الذى يعيش عيشة طيبة ؟ كل الناس يعيشون عيشة بائسة . أليس لى عينان ؟

كليش : **(حتى الآن كان يرقد بلا حراك فى عزلة عنهم ، ولكنه يقفز عند سماعه هذه الكلمات)** كل الناس ؟ هذا كذب . ليس كل الناس . لو كان كل الناس كما تقولين ، لما كان الأمر سيئاً الى هذا الحد . اذن لما كان يهمك ما أنت فيه .

بينوف : أى شيطان وخزك هذه المرة ؟ لماذا تصرخ هكذا ؟ **(يرقد كليش ثانية وهو يتمتم لنفسه)**

البارون : سأذهب لأصالح ناستيا . اذا لم أصالحها فلن تعطينى نقوداً لأشرب .

بينوف : ممم ... كم يحب الناس الكذب ! هذه ناستيا ! من الممكن أن تفهمها . لقد تعودت على أن تصبغ وجهها . ولذا تظن أنها تستطيع أن تفعل نفس الشيء بروحها . تستطيع أن تصبغ روحها باللون الأحمر . ولكن لماذا يكذب الآخرون ؟ لوكا مثلا ؟ انه يكذب بدون أن يستفيد شيئاً من ذلك . هو الرجل العجوز ! لماذا يفعل ذلك ؟

البارون : **(مستهزئاً وهو يخرج)** كلهم ارواحهم رمادية اللون . وهم جميعاً يحبون أن يصبغوها بقليل من اللون الأحمر .

لوكا : **(يدخل من عند الركن)** لماذا أغضبت هذه الفتاة يا سيادة اللورد ؟ دعها تهنأ فى حزنها . اذا كانت تجد راحة فى دموعها ، فما شأنك أنت ؟

البارون : هى فتاة غبية أيها العجوز . تثير أعصابى . هو اليوم راءول ، وغداً جاستون ، والقصة هى هى . على أى حال ، سأذهب لأصالحها **(يخرج)**

لوكا : نعم . كن لطيفاً ورقيقاً معها . فلن يضير الانسان أبداً أن يكون لطيفاً مع الناس .

ناتاشا : أنت طيب القلب يا جدى ، ما الذى يجعلك رحيماً هكذا ؟

لوكا : رحيم ؟ لك رأيك **(موسيقى رقيقة صادرة عن اكورديون ، وغناء يأتيان من الجانب الآخر للحائط)**

لابد ان يكون فى هذا العالم شخص رحيم . لابد ان نشعر بالعطف على الناس . كان المسيح يحب كل الناس ، وقد طلب منا أن نقتدى به . وانا اقول لكم ان من الممكن فى كثير من الحالات انقاذ الشخص باظهار العطف عليه قبل فوات الأوان . كما حدث لى مثلا عندما كنت أعمل حارساً فى مزرعة يملكها أحد المهندسين بالقرب من مدينة « تومسك » . كانت هذه المزرعة تقع وسط الغابات . وكنا فى الشـــتاء . . . والمزرعة فى غاية الروعة . . . وأنا وحدى فى المزرعة . الى أن سمعت ذات يوم بعض الأصوات . . . صوت شخص يقتحم طريقه .

ناتاشا : لصوص ؟

لوكا : نعم ، كانوا لصوصاً ، يسطون على المزرعة . التقطت بندقيتى وخرجت . ورأيتهما . كانا اثنين يفتحان النافذة . كانا منهمكين فلم يريانى . وصحت فيهما « هيه . اخرجا من هنا » . فتقدما منى ومعهما فأس . فصحت فيهما وأنا أصوب بندقيتى نحو أحدهما أولا ثم نحو الآخر ثانياً « اذا لم تقفا مكانكما ، أطلقت النار » . واذا بهما يخران على ركبهما يتوسلان الى أن ادعهما

يذهبان . ولكننى كنت عندئذ فى أشدّ حالات الغيظ بسبب هذه الفأس . فقلت لهما « لقد امرتكما بالخروج أيها الشقيان فلم تخرجا . أما الآن فليذهب واحد منكما ويقطع فرعاً كبيراً من هذه الأشجار » . فلما جاء أحدهما بالفرع أمرت كلا منهما أن يرقد ليعطيه الآخر علقة طيبة . وهكذا ضرب كل منهما الآخر . فلما انتهينا من ذلك قالا لى « يا جدنا ، أعطنا شيئاً لنأكل بحق المسيح . فنحن نجوب هذه المنطقة ببطون خاوية » . هؤلاء هم اللصوص ! **(يضحك)** وهذه هى الفأس ! كلاهما رجل طيب . قلت لهما « لماذا لم تأتيا وتطلبا منى شيئاً تأكلانه من البداية ؟ » فقالا انهما سئما السؤال والطلب . فقد طلبا وطلبا ولكن لم يعطهما أحد شيئاً . وبعد ذلك اقاما معى طول الشتاء . كان أحدهما ، واسمه ستيبان ، يحمل البندقية ويخرج الى الغابة . أما الثانى ، واسمه ياكوف ، فكان مريضاً طول الوقت . كان دائماً يسعل . وقمنا نحن الثلاثة بحراسة المزرعة . فلما جاء الربيع قالا وداعاً يا جدى . ورحلا . اتجها الى الغرب .

ناتاشا : هل كانا هاربين من السجن ؟

لوكا : نعم . كانا هاربين من السجن . هاربين من ذلك

المكان الذى نفيا اليه . كانا شابين يافعين . ولو لم تأخذنى الشفقة عليهما عندئذ فربما كانا قد قد قتلانى أو فعلا شيئاً سيئاً من هذا القبيل ، ولكان معنى ذلك المحاكمة فالسجن فسيبريا . لماذا ؟ لا يمكن للسجن أن يعلم الشخص ما هو صواب . ولا يمكن لسيبريا أن تعلم الشخص ما هو صواب . أما الانسان ... الانسان يستطيع أن يعلم الشخص ما هو صواب ، وبسهولة .

(صمت)

بينوف : أنا مثلا ... لا أجيد الكذب . لماذا أكذب ؟ رأيى الا يتردد الانسان فى قول الصدق . فماذا نخشى ؟

كليش : **(يقفز مرة أخرى كالملسوع ويصرخ)** الصدق ؟ أى صدق ؟ **(يمزق الخرق التى يلبسها)** هذا هو الصدق . لا عمل . لا قوة . هذا هو الصدق . لا مأوى . ولا سقف أملكه . لا شىء الا أن أموت كالكلب . هذا هو الصدق الذى تتحدث عنه ، أيها الشيطان العجوز . ما حاجتى أنا الى صدقك هذا ؟ كل ما أريده هو أن تتاح لى فرصة التنفس ... أن أتنفس حياً . ماذا ارتكبت من خطأ ؟ ما حاجتى أنا الى صدقك

هذا ؟ أريد أن تتاح لى الفرصة لأعيش ! دنيا لعينة ! انهم لا يتركونك تعيش ، وهذا هو الصدق .

ببنوف : هذا الفتى متأثر جداً !

لوكا : يا رب ! ولكن اسمع ياصديقى . أنت ...

كليش : **(يرتعد انفعالا)** كلكم تتشدقون بالحديث عن الصدق . أنت يا عجوز ، تحاول أن تعزى كل واحد . اذن فاسمع ، أنا أكره كل واحد ، وهذا هو الصدق ، عليه اللعنة الى الأبد ! هل تفهم ؟ لقد حان الوقت لأن تفهم ! فليذهب صدقك الى جهنم **(يجرى حول ركن المنزل وهو ينظر وراءه ويصرخ)** .

لوكا : يارب ، يارب ، يارب ، ! هذا الفتى ساخط أشد السخط ! الى أين خرج ؟

ناتاشا : خرج عن وعيه .

ببنوف : حاجة مسلية جداً . كالتمثيل تماماً . هذا لايحدث كثيراً . لم يتعود على الحياة بعد .

پپل : **(يدخل على مهل آتياً من المنزل)** سعيدة ، يا اخوان . آه ، لوكا ، أيها الثعلب العجوز الماكر ، أما زلت تروى حواديتك وخزعبلاتك ؟

لوكا : كان يجب أن تسمع ما انفجر به هذا الرجل منذ لحظة .

پيپل : من ؟ كليش ؟ ماذا حدث له ؟ لقد رايته يجرى كما لو كان الشيطان يجرى وراءه .

لوكا : اى واحد لابد ان يجرى اذا انكسر قلبه هكذا .

پيپل : (**يجلس**) أنا لا احب هذا الشاب . متكبر جداً وشرير (**يقلد كليش**) « أنا ... أنا صنايعى » . كما لو كان ذلك يجعله أحسن من غيره . أنت حر فى أن تشتغل كما تشاء ، ولكن لماذا تكون فخوراً بنفسك هكذا ؟ لو كانت قيمة الشخص تتوقف على مقدار العمل الذى يعمله ، لكان الحصـان أفضل من أى انسان ، فهو يشقى يوماً بعد يوم دون أن يقول كلمة . ناتاشا ، هل اهلك هنا ؟

ناتاشا : ذهبوا الى المقـابر . وبعد ذلك سـيذهبون الى قداس المساء .

پيپل : ولذلك ليس لديك ما يشغلك الآن .

لوكا : (**يخاطب بينوف مفكراً**) تقول الصدق ! الصدق لا يشفى آلام الانسان فى كل الأحوال . لا تستطيع دائماً أن تعاون الروح بالصدق . اذكر مثلا شخصاً كنت أعرفه كان يؤمن بالمدينة الفاضلة .

بينوف : بماذا ؟

لوكا : بالمدينة الفاضلة . كان يقول « لابد أن تكون فى هذا العالم مدينة فاضـلة . مدينة يعيش فيها ناس من نوع خاص . ناس فاضـلون . يحترم

كل منهم الآخر ، ويساعده ويعاونه فى كل صغيرة وكبيرة . لابد أن يكون كل شىء فى هذه المدينة رائعاً » . وهكذا فكر فى البحث عن هذه المدينة . كان رجلا فقيراً ، وكانت حياته بائسة شاقة . وكانت أحواله تبلغ من السوء حداً يبدو له معه أن لم يبق الا أن يرقد ويموت . ولكنه لم ييأس . كان يبتسم لنفسه ويقول « لا بأس . أستطيع أن أتحمل هذا . سأنتظر فترة قصيرة أخرى وبعدها اترك هذه العيشـة واذهب الى المدينة الفاضلة » . كانت تلك هى مسرته الوحيدة فى الحياة ... ايمانه بوجود المدينة الفاضلة .

پيپل : وهل ذهب اليها ؟

بينوف : أين ؟ فهو !

لوكا : الى أن جاء يوم هبط فيه على القـرية التى كان يعيش فيها فى سيبريا عالم واسع العلم والاطلاع كان منفياً الى سيبريا . جاء ومعه كتبه وخرائطه وكل ما يحمله رجل كهذا . فقال صاحبنا الفقير للعالم « أرجوك أن تخبرنى أين تقع المدينة الفاضلة وكيف أصل اليها» . فأخرج العالم كتبه وخرائطه وبحث ونقب ، ولكنه لم يستطع أن يهتدى الى المدينـة الفاضـلة فى أى مكان . كان كل شىء فى موضعه ، كل البـلاد على الخرائط الا ان المدينة الفاضلة لم يكن لها وجود .

پپل : **(فى صوت هامس)** لم يكن لها وجود !

(يضحك ببنوف)

ناتاشا : لا تضحك . استمر يا جدى .

لوكا : لم يصدق الرجل . فقال للعالم « لابد أن تكون فى مكان ما . انظر جيدا . لأنه اذا لم يكن للمدينة الفاضلة وجود ، اذن فكل كتبك وخرائطك لا قيمة لها » . ويستاء العالم فيقول لصاحبنا « خرائطى هى أحسن الخرائط ، ولكن لا وجود لمكان كهذا » . ويثور صاحبنا المسكين متسائلا « ماذا تقول ؟ لقد صبرت على هذه الحياة وتحملتها كل هذه السنين لا لشىء الا لأننى كنت واثقاً من وجود مكان كهذا . واليوم تقول لى خرائطك انه مكان لا وجود له . هذا غش ! أنت شقى بائس ! أنت وغد ولست رجلا من رجال العلم » . ويتحمس صاحبنا المسكين فيناول العالم لكمة على اذنه ... طاخ ! ووراءها لكمة أخرى ... طاخ ! **(لحظة سكون)** وبعد ذلك يذهب الى بيته ثم يشنق نفسه .

(الكل صامتون . يبتسم لوكا وينظر الى پپل وناتاشا)

پپل : **(وهو يلهث)** أنت نحس ! حكايتك شؤم !

ناتاشا : عز عليه أن يكون مخدوعاً !

ببنوف : **(متجهماً)** حدوتة اخرى !

پپل : هيه ! اذن لا وجود للمدينة الفاضلة !

ناتاشا : مسكين هذا الرجل !

ببنوف : حكاية ملفقة . ههو ! مدينة فاضلة ! زينها له خياله . ههو ! **(ينسحب من النافذة)** .

لوكا : **(يومىء فى اتجاه نافذة ببنوف)** يضحك ! هىء هىء هىء ! **(سكون)** يا أصدقائى ، أتمنى لكم كل خير . سأرحل بعد قليل .

پپل : الى أين تذهب ؟

لوكا : الى أوكرانيا . سمعت عن تكوين جماعة دينية جديدة هناك وأريد أن أرى أحوالها . فالناس دائماً فى سعى ، دائماً يطلبون شيئاً أحسن . كان الله فى عونهم .

پپل : هل تظن أنهم سيجدون ما يبحثون عنه ؟

لوكا : بالتأكيد . من جدّ وجد . كل من اشتدت به الحاجة الى شىء لابد أن يحصل عليه .

ناتاشا : آه لو يفعلوا ! آه لو يفكروا فى طريقة أحسن للمعيشة !

لوكا : سيفعلون . ولكن علينا أن تساعدهم يا عزيزتى علينا أن نحترمهم لسعيهم .

ناتاشا : وكيف أساعدهم اذا كنت أنا نفسى فى حاجة الى المساعدة ؟

پپل : **(فى تصميم)** سأقولها لك مرة أخرى يا ناتاشا .

سأطلب منك مرة أخرى . هنا ، أمام هذا الرجل الذى يعرف كل شىء . تعالى معى .

ناتاشا : الى أين نذهب ؟ الى السجن ؟

پپل : قلت لك اننى سأكف عن السرقة . أقسم بالله اننى سأكف عن السرقة . انا اذا قلت فعلت . انا أجيد القراءة والكتابة . سأشتغل . هذا الرجل يقول اننا نستطيع الذهاب الى سيبريا باختيارنا. فهل نذهب ؟ هل تظنين اننى لا اكره هذه الحياة ؟ أوه ، ناتاشا . انا فاهم ... أنا فاهم كل شىء . أنا اعزى نفسى واقول لها ان من يسمون بالأشراف يسرقون اكثر منى . ولكن ذلك لا يقدم ولا يؤخر. ليس هذا هو ما أريده . أنا لا آسف على شىء . ولا أومن بالضمير . شىء واحد أومن به . هو ان هذه ليست معيشة . لابد للرجل ان يعيش عيشة تجعله يحترم نفسه .

لوكا : هكذا يا بنى ! كان الله فى عونك . هو ما تقول . لابد للرجل أن يحترم نفسه !

پپل : منذ صغرى وأنا احترف اللصوصية . لم أسمع أحداً يناديني الا بقوله « ڤاسيا اللص . ڤاسيا بن اللص » . فهذا اذن هو رأيك فى ؟ هه ؟ اذن فهذا ما سأكونه . لص ! هه ؟ لعلنى لم أصبح لصاً الا لمجرد الحقد . لعلنى لم اصبح لصاً الا لأنه لم يخطر ببال أحد أن ينادينى باسم آخر . أما أنت ... أنت يا ناتاشا ؟ لو انك ...

ناتاشا : (حزينة) أنا لا أصدق كل ما يقوله الناس . وانا قلقة جداً فى هذه الأيام . احس بقلبى يغوص كما لو كان سيحدث شىء . ما كان يجب أن تثير هذا الموضوع اليوم يا ڤاسيا .

پپل : متى اذن ؟ ليست هذه أول مرة أفتح فيها هذا الموضوع .

ناتاشا : ولماذا اذهب معك ؟ فيما يتعلق بالحب ... لا أستطيع أن أقول اننى أحبك كثيراً . انت تروق لى فى بعض الأحيان . وفى أحيان أخرى لا اطيق رؤيتك . لا أظن اننى أحبك . فأنت عندما تحب شخصاً يعميك الحب عن رؤية مساوئه . ولكننى أرى مساوئك .

پپل : لا تخشى شيئاً . سأعلمك أن تحبينى . ما عليك الا أن تقولى نعم . أنا أراقبك منذ اكثر من عام . وقد رأيت أنك فتاة جادة مستقيمة . فتاة يمكن الاعتماد عليها . أنا وقعت فى غرامك يا ناتاشا .

(تظهر ڤاسيليسا فى النافذة بكامل زينتها . تقف مصغية وهى مختبئة وراء اطار النافذة)

ناتاشا : أنت وقعت فى غرامى ... وماذا عن أختى ؟

پپل : **(مرتبكاً)** وماذا عنها ؟ يوجد مثلها كثيرات .

لوكا : لا تفكرى فى هذا ياعزيزتى . اذا لم يوجد خبز ، أكلنا الحشائش .

پپل : **(مكتئباً)** أرحمى حالى . هذه ليست معيشة .

انها معيشة كلاب ، ولا لذة فيهـا . كأن الواحد يعيش فى مستنقع ، فكل ما تتشبث به يداه يتبدد لأنه عفن . أختك هذه ... كنت أظنها على خلاف هذا . لو لم تكن جشعة الى المال بهذا الشكل ، لكنت فعلت أى شيء من أجلها . لو كان حبها لى خالصاً ! ولكنها تريد شيئاً آخر ... المال . كما تريد أن تكون حرة ... حرة لتعيش على هواها . لم تكن أختك عوناً لى . أما أنت ... انت كشجرة الشربين الفتية ، تنثنى ولكن لا تنكسر .

لوكا : اقبلى نصيحتى وتزوجيه يا ابنتى . فهو شاب لا بأس به . ما عليك الا أن تذكّريه دائمـاً بأنه شاب طيب...لاتدعيه ينسى هذا . سيصدقك. قولى له وأعيدى دائماً «أنت رجل طيب ياڤاسيا ، فلا تنس هذا» . فكرى يا عزيزتى : هل امامك مخرج آخر من هذه الحياة ؟ أختك هذه قاسية خبيثة . أما زوجها .... فهو عجـوز لا تكفى الكلمات لوصف شره . وهذا شأن الحياة هنا . فما هو المخرج الآخر ؟ ثم هو شاب قوى .

ناتاشا : لا مخرج آخر لى . أعلم هذا . فكرت فى ذلك . الا اننى ... لا اصدق أحداً . ومع ذلك ، لامخرج آخر .

پپل : بل يوجد مخرج آخر . ولكننى لن أدعك تسلكين هذا السبيل . سأقتلك أولا .

ناتاشا : **(مبتسمة)** لم أصبح زوجتك بعد ، ومع ذلك فأنت على استعداد لقتلى .

پپل : **(ياخذها بين ذراعيه)** انسى هذا يا ناتاشا . هذا ما يجب أن تكون عليه حالنا .

ناتاشا : **(تتملص منـه)** هنـاك شيء لابد أن أقـوله لك يا ڤاسيا ، شيء أقسم عليه أمام الله . أول مرة ترفع فيها يدك علىّ أو تسىء الىّ بأى شكل آخر ، لن أبقى على نفسي . اما أن أقتل نفسي واما ...

پپل : فلتقطع يدى وتنفصل عن جسدى اذا أنا رفعتها عليك .

لوكا : لا تقلقى يا عزيزتى ، فهو فى حاجة اليك أكثر من حاجتك اليه .

ڤاسيليسا : **(من النافذة)** وهكذا تمت الخطـوبة ! من الآن فصاعداً حب واحترام وطاعة !

ناتاشا : لقد عادا ! يا ربى ! لقد رأيانا . آه ، ڤاسيا !

پپل : مم تخافين ؟ لن يجرؤ أحد على أن يمد يده اليك الآن .

ڤاسيليسا : لا تقلقى يا ناتاشا ، فلن يكون ضربه أكثر من حبه . أنا عارفة .

لوكا : **(لاهثاً)** هذه المرأة ! حية رقطاء !

ڤاسيليسا : هو يجيد الكلام المعسول .

كوستليوف : **(يدخل)** ناتاشا ! ماذا تفعلين هنا يا بليدة ؟ تلوكين سيرة الناس ؟ وتشكين أقاربك ؟ ولم تعدى الساموڤار حتى الآن ؟ لم تعدى المائدة ؟

ناتاشا : (تخرج) ولكنكم كنتم تنوون الذهاب الى الكنيسة .

كوستليوف : لا شأن لك بما كنا ننوى عمله . افعلى ما نطلبه منك . ما نأمرك به .

پپل : امسك لسانك . لم تعد خادمة لك بعد الآن . ناتاشا ، لا تذهبى . لا تفعلى لهم شيئاً .

ناتاشا : لا تقل لى ماذا أفعل . لم يحن وقتك بعد **(تخرج)**

پپل : **(الى كوستليوف)** دعها فى حالها . لقد ظلت تحت ارادتك بما فيه الكفاية . هى الآن لى .

كوستليوف : لك ؟ متى اشتريتها ؟ كم دفعت ؟

(ڤاسيليسا تضحك)

لوكا : اذهب من هنا يا ڤاسيا .

پپل : احترسى والا وجدت نفسك تضحكين على الجانب الآخر لوجهك .

ڤاسيليسا : حاجة مخيفة ! انا خايفة موت !

لوكا : اذهب يا ڤاسيا . الا ترى انها تستفزك لكى تثير غضبك ؟

پپل : آه ... نعم . انها تكذب . أنت تكذبين ! لن تسير الامور حسبما تشائين .

ڤاسيليسا : ولن تسير حسبما لا أشاء يا ڤاسيا !

پپل : **(يهز قبضته فى وجهها)** سنرى ! **(يخرج)**

ڤاسيليسا : **(تختفى من النافذة)** سأهيىء لك زفافاً مناسباً .

كوستليوف : **(يتجه الى لوكا)** ماذا تفعل هنا أيها العجوز ؟

لوكا : لا شىء أيها العجوز .

كوستليوف : يقولون انك ستتركنا ؟

لوكا : آن الأوان .

كوستليوف : الى اين تذهب ؟

لوكا : وراء انفى .

كوستليوف : هكذا حال المتشردين ! انت لا تطيق البقاء طويلا فى مكان واحد ، هه ؟

لوكا : الحركة بركة ، كما يقول المثل .

كوستليوف : ولكن لابد للرجل أن يستقر فى مكان واحد ، لا ان يعيش كالسمك فيتنقل هنا وهناك وفى كل مكان . لابد للرجل أن يتخذ له بيتاً فى مكان ما ، لا أن يكون غريباً فى كل مكان .

لوكا : واذا شعر الرجل بأنه فى بيته فى كل مكان ؟

كوستليوف : معنى هذا انه متشرد وانه مخلوق لا فائدة منه . لابد أن يكون الشخص ذا نفع ما . لابد له ان يشتغل .

لوكا : صحيح ؟ لم افكر فى هذا .

كوستليوف : نعم . لابد له . من هو الغريب ؟ الغريب هو شخص غريب ، شخص لا يشبه الآخرين . فاذا كان حاجاً ذا علم ... اى اذا كان قد تعلم أشياء ... أشياء لا يهتم احد بمعرفتها ... حتى ولو كانت هذه الأشياء هى الصدق والحق ، فالناس لا يريدون الصدق والحق فى كل الأحوال

.... **فليبق** لنفسه ما تعلم ! أما اذا كان حاجاً حقاً ، أمسك لسانه . فاذا تكلم لم يفهم أحد ما يتكلم عنه . كما يجب عليه ألا يطلب تغيير الأوضاع . أو يتدخل فى أى شىء ، أو يضايق الناس لغير ما سبب وجيه . لا شأن له بحياة الناس وكيف يحيونها . عليه أن يعيش عيشة الزهد والتقوى . عليه أن يعيش فى كهف فى الغابة حيث لا يراه أحد . لا حق له فى أن يتدخل فى شئون الناس ، محاولا أن يبين لهم ما هو الصواب وما هو الخطأ . ولكن يجب عليه أن يدعو الله لكل واحد .... ليغفر لنا كل خطايانا الدنيوية ... خطاياك وخطاياى وخطايا كل شخص آخر . لذلك يتخلى الحاج عن مباهج هذه الدنيا ... ليتفرغ للصلاة والعبادة **(صمت)** أما أنت ... اى نوع من الحجاج أنت ؟ ليس معك جواز مرور . كل الكائنات البشرية المحترمة معها جوازات مرور...

لوكا : بعضنا بشر ، وبعضنا مجرد كائنات .

كوستليوف : لا داعى لهذه الشطارة الآن . لا داعى لهذه الألغاز . فأنا لا أقل عنك ذكاء . ماذا قلت ... بشر وكائنات ؟

لوكا : لا لغز هنا . كنت أقول ان البشر كالأرض فيها الخصبة وفيها القاحلة . ومهما يكن نوع البذور التى تبذرها فى الأرض الخصبة ، فلابد أن تثمر .

كوستليوف : وما معنى هذا ؟

لوكا : أنظر الى نفسك مثلا . لو أن الخالق نفسه قال لك « يا ميخائيل ، كن بشراً » لما كان لقوله أى أثر على الاطلاق . ستظل أنت كما أنت .

كوستليوف : اسمع . ان خال زوجتى من رجال الشرطة . اذا أنا ....

ڤاسيليسا : **(تدخل)** الشاى جاهز يا ميخائيل اڤانوڤتش .

كوستليوف : **(الى لوكا)** أخرج من هنا . لا تدعنى أراك فى بيتى مرة أخرى .

ڤاسيليسا : خير لك أن ترحل أيها العجوز . لسانك طويل . من يدري انك لست مجرماً هارباً .

كوستليوف : ارحل من هنا اليوم ، والا ...

لوكا : استدعيت خال زوجتك ؟ هيا ، استدعه . أخبره أنك قبضت على مجرم هارب . لعل الخال ينال جائزة .... ثلاثة كوپك مثلا ؟

ببنوف : **(عند النافذة)** هل تبيع شيئاً ؟ ما هذا الذى تبيعه بثلاثة كوپك ؟

لوكا : يهددون ببيعى .

ڤاسيليسا : **(لزوجها)** هيا بنا .

ببنوف : بثلاثة كوپك ؟ خذ بالك يا عجوز ! سيبيعونك بنصف كوپك .

كوستليوف : **(الى ببنوف)** اذن فقد زحفت من تحت الفرن وخرجت لنا كالغول ؟ **(يخرج مع زوجته)**

قاسيليسا : كم فى العالم من لصوص واوغاد !

لوكا : أرجو لكما شاياً هنيئاً !

قاسيليسا : (تستدير اليه) امسك لسانك أيها العجوز القبيح !

(تختفى مع زوجها عند ناصية الباب)

لوكا : سأرحل الليلة .

بينوف : هذا حسن . فمن الخير دائماً أن ترحل فى الوقت المناسب .

لوكا : هذا من خير ما قيل .

بينوف : أنا أعرف ما أقول . لعلنى تفاديت دخول السجن برحيلى فى الوقت المناسب .

لوكا : صحيح ؟

بينوف : نعم ، صحيح . واليك القصة : احببت زوجتى تاجر فراء . كان تاجراً بارعاً . وكان تعلق كل منهما بالآخر شديداً بحيث كان لزاماً علىَّ أن أكون مفتوح العينين حتى لا يدسا لى السم ، أو يتخلصا منى بطريقة أخرى . كنت اضرب زوجتى فى بعض الأحيان فكان تاجر الفراء يضربنى . كان مقاتلا شرساً . نتف نصف لحيتى ذات مرة . وكسر لى ضلعاً مرة أخرى . ولكننى كنت أفقد اتزانى . الى أن كان يوم ضربت فيه زوجتى على رأسها بقضيب من الحديد ، ونشب بيننا قتال عنيف . الا أننى تبينت الا جدوى من مواصلة

العراك ... فهما سيتغلبان علىَّ دون شك ... ولذا قررت أن أقتل زوجتى قبل أن تقتلنى . رسمت الخطة واعددت العدة ... ولكننى تمالكت نفسى فى الوقت المناسب ورحلت .

لوكا : خير ما فعلت .

بينوف : ولكن المحل كان ملكاً لزوجتى ، وهأنذا الآن كما ترانى . ولكن اقول لك الحق ، كنت سأشرب بالمحل كله . فالشرب هو الذى يجعلنى ....

لوكا : الشرب ، اه ؟

بينوف : انا سكير بشع . اذا بدات الشرب ، شربت كل شىء الا جلدى . وانا بليد . ليست لديك فكرة عن مقدار كرهى للعمل .

(يدخل ساتين والممثل يتجادلان)

ساتين : كلام فارغ ! لن تذهب . انت تعرف انك لن تذهب . انت تخدع نفسك . أيها العجوز ، ما هذا الهذيان الذى كنت تصبه فى اذن هذا الفتى ؟

الممثل : هذا كذب . يا جدى ، قل له انه يكذب . سأذهب . لقد اشتغلت اليوم ... كنست الشارع . ولم اشرب كأساً واحدة . تصور . انظر ... هذه هى الثلاثون كوبك ، وأنا فى وعيى .

ساتين : غبى ! هات النقود . سأشرب بها أنا ، أو أخسرها فى القمار .

الممثل : حاسب ! هذا جزء من ثمن تذكرة السفر .

لوكا : (**الى ساتين**) لماذا تريده أن ينحرف عن الطريق المستقيم ؟

ساتين : « خبرني أيها الساحر ، يا صفي الآلهة ، ما هو المصير الذى يخبئه لى القدر ؟ » . أنا أفلست تماماً أيها الأخ . فقدت كل ما أملك . ولكن ما زال أمام العالم أمل يا جدى . توجد أسماك قرش أشطر منى .

لوكا : أنت شاب مرح يا كونستانتين ، وحلو المعشر .

بينوف : يا ممثل ، تعال هنا .

(يتجه الممثل الى النافذة وينحنى على بينوف يحدثه فى صوت منخفض)

ساتين : كنت مسلياً فى صغرى . جميل أن أستعيد ذكريات تلك الأيام . كنت شاباً فاجراً . كنت بارعاً فى الرقص . وكنت أمثل على المسرح . كنت دائماً أجعل الناس تضحك. كنت شاباً ظريفاً .

لوكا : وكيف تبدلت حالك ، هه ؟

ساتين : أنت مخلوق فضولى يا عجوز . تحب أن تعرف كل شيء . لماذا ؟

لوكا : أحب أن أفهم الطبيعة الانسانية . ولكن عندما أنظر اليك ، لا أفهم شيئاً . أنت رجل طيب يا كونستانتين ، وشاطر . ومع ذلك ...

ساتين : السجن هو الذى فعل بى ذلك يا جدى . قضيت فيه أربع سنين وسبعة أشهر . وبعد السجن لا يقبلك أحد .

لوكا : ولماذا دخلت السجن ؟

ساتين : قتلت وغداً . قتلته فى ساعة غضب وسخط . وفى السجن تعلمت لعب القمار ... وأشياء أخرى .

لوكا : هل قتلته بسبب امرأة ؟

ساتين : بسبب أختى . ولكن لا تتدخل فيما لا يعنيك . فأنا لا أحب أن يسألنى أحد أسئلة كهذه . وهذا كله حدث منذ زمن بعيد . لقد ماتت أختى . منذ تسع سنوات . كانت جميلة .

لوكا : أنت تتقبل الحياه قبولا حسناً . كان يجب أن تسمع صانع الأقفال وهو يئن منذ لحظة ويصيح بأعلى صوته : آ . . . ى !

ساتين : كليش ؟

لوكا : نعم . كان يصيح : لا عمل ، ولا شيء بالمرة .

ساتين : سيتعود على ذلك بمرور الوقت . ماذا أفعل بنفسى الآن ؟

لوكا : أنظر . هذا هو .

(يدخل كليش وقد تدلت رأسه بين كتفيه)

ساتين : ايه يا أرمل ! لماذا تمشى وأنفك بين ركبتيك ؟ فيم تفكر ؟

كليش : افكر فيما سأفعله . لم تعد عندى آلات . بعتها كلها لدفع نفقات الجنازة .

ساتين : اقبل نصيحتى ولا تفعل شيئاً . كن عبئاً على العالم .

كليش : هذا يناسبك انت ، اما انا فأشعر بالعار .

ساتين : تخلص من هذا الشعور . فالناس لا يشعرون بالعار عندما يرونك تعيش عيشة الكلاب . فكر . انت تكف عن العمل ، وأنا اكف عن العمل ، مئات وآلاف آخرون يكفون عن العمل ، كل واحد يكف عن العمل . هه ؟ كلنا نكف عن العمل . لن يرفع احد اصبعه ليفعل شيئاً . فماذا يحدث عندئذ ؟

كليش : نموت جميعاً من الجوع .

لوكا : **(الى ساتين)** يجب أن تنضم الى طائفة النساك ما دامت لك أفكار كهذه .

ساتين : وهؤلاء ليسوا أغبياء يا جدى كما قد يظن الناس .

(من نافذة مسكن كوستليوف يسمع صوت ناتاشا تصيح : ((كفى . كفى . ماذا فعلت ؟)))

لوكا : **(فى قلق)** ناتاشا ؟ هل هى التى تصرخ هكذا ؟

(من مسكن كوستليوف يسمع صوت اطباق تتحطم ، واصوات تذمر ، وصوت كوستليوف وهو يصرخ : ((يا كلبة ! يا عاهر !)))

ڤاسيليسا : دعها ! انتظر ! سأريها ! خذى هذه ! وهذه !

ناتاشا : انهم يقتلوننى ! يقتلوننى !

ساتين : **(يصرخ عند النافذة)** أنتم ، هناك !

لوكا : **(مندفعاً هنا وهناك)** ڤاسيا ! نريد ڤاسيا هنا الآن . يا ربى ! أيها الناس الطيبون ! أيها الأخوة !

الممثل : **(يعدو)** سأذهب لآتى به .

بينوف : هم لا يكفون عن ضربها .

ساتين : تعال أيها العجوز . سنكون شاهدين .

لوكا : **(يتبع ساتين)** انا شاهد لا خير فى . لم أخلق لمثل هذا . نريد ڤاسيا ، ونريده بسرعة .

ناتاشا : يا اختى ! يا اختى ! آه . . . آ . . . ه !

بينوف : لقد كمموا فمها . سأذهب لأرى .

(تموت الضجة فى مسكن كوستليوف اذ ينتقل الناس الى الردهة . يسمع صوت العجوز وهو يصيح ((كفى)) . باب يصفق فيكون لصفقه وقع ضربة الفاس ، فتنقطع الضجة . الصمت يسود المسرح . غسق الربيع . كليش جالس على مركبة الجليد المقلوبة ، فى حالة شرود وهو يفرك يديه فى توتر . يتمتم بكلمات غيرمفهومة تتبلور اخيراً فى قوله : ((ولكن كيف ؟ لابد للانسان

ان يعـيش ، أليس كذلك ؟)) . ثم يقول فى صوت عال : ((سقف ! أريد سقفاً فوق رأسى . لا سقف لى . لا شيء عندى بالمرة ! أنا رجل وحيد ... وحيـد تمـاماً . هذا هو سر المتاعب . لا أحد يعاوننى)) . يخرج على مهل . محدودب الظهر . يرين على المسرح سـكون مخيف لبضـع ثوان . ثم يسمع صوت تذمر غامض آت من خارج المسرح ، يعلو ليصبح صوتاً مرعباً كلما اقترب . تسـمع أصوات متميزة)

قاسيليسا : أنا أختها ! اتركها لى !

كوستليوف : لا حق لك .

قاسيليسا : يا ربيب السجون !

ساتين : أدع قاسيا . أسرع . اضربه يا زوب !

(تسمع صفارة الشرطة)

التترى : **(يعـدو داخلا ، ذراعه اليمنى فى ضمـادة)** أى قانون هذا ... جريمة قتل فى وضح النهار ؟

زوب : **(يدخل ووراءه ميدڤيديف)** هاه ! ضربته ضربة قوية .

ميدڤيديف : أنت ... كيف تجرؤ على مقاتلة الناس ؟

التترى : وانت ، ما هو واجبك ؟

ميدڤيديف : **(يجرى وراء التترى)** قف . أعطنى صفارتى .

كوستليوف : **(داخلا يعدو)** أبرام اقبض عليه ! لقد قتل ....

(من وراء الناصية تدخل كفاشـنيا وناستيا تسندان بينهما ناتاشا وقد تشعث شعرها . يمشى ساتين بظهره وهو يدفع قاسيليسا التى تحـاول الامساك باختها. اليوشكا ينط حولها كالعفريت ، وهو يصـفر فى أذنها ، ويصيح ، ويزمجر . تدخل فى اثرهم مجموعة صغيرة من الغوغاء)

ساتين : **(الى قاسيليسا)** ماذا تفعلين يا قذرة ؟

قاسيليسا : ارحل يا ربيب السجون ! سأمزقها ارباً ولو كلفنى ذلك حياتى !

كفاشنيا : **(تاخذ ناتاشـا بعيـداً)** كفى يا قاسيليسا ! الا تشعرين بالعار ؟ أنت تتصرفين كالوحش .

ميدڤيديف : **(يقبض على ساتين)** قبضت عليك أخيراً .

ساتين : اهرب يا زوب . قاسيا ! قاسيا !

(يتجمعون بالقرب من الممر بين سور الطوب والبيت . بينما تكون ناتاشا قد اقتيـدت لتجـلس فوق كومة الأخشـاب الى اليمين)

پيل : (**يدخل فجاة من الممر ، وفى سكون ينحنى كل شخص جانباً فى حركات قوية عنيفة**) اين ناتاشا ؟ انت . . .

كوستليوف : (**يختفى خلف البيت**) أبرام ، امسك ڤاسيا . يا اخوانى ، ساعدوه ليقبض على ڤاسيا . لص ! حرامى !

پيل : أيها الفاسق العجوز !

(**بحركة قوية من ذراعه يضرب پيل العجوز كوستليوف فيسقط بحيث لاترى الا راسه وكتفاه من خلف ناصية البيت . يندفع پيل نحو ناتاشا**)

ڤاسيليسا : اضربوا ڤاسيا يا جماعة ! اضربوا اللص !

ميدڤيديف : (**يصيح فى وجه ساتين**) ابعد عن هذا . هذه مسألة عائلية . كلهم أقارب . لا محل لك هنا .

پيل : ما هذا ؟ ماذا فعلت ؟ هل ضربتك بخنجر ؟

كڤاشنيا : أنظر ما فعل هؤلاء الوحوش ! حرقوا رجليها بماء مغلى .

ناستيا : قلبوا السماور عليها .

التترى : لعل تلك كانت حادثة غير مقصودة . لابد ان نتأكد . يجب الا نخطىء الحكم .

ناتاشا : (**تكاد يغمى عليها**) ڤاسيا . خذنى بعيداً . خبئنى .

ڤاسيليسا : يا الهى ! انظروا ! مات ! قتل !

(**يسرع الجميع الى الممر حيث يرقد كوستليوف . ينفصل بينوف عن الجمع ويذهب الى ڤاسيا پيل**)

بينوف : (**فى صوت منخفض**) ڤاسيا ! الرجل العجوز . . . انتهى !

پيل : (**ينظر اليه وهو لا يفهم**) ادع الاسعاف ! لابد أن نأخذها الى المستشفى . سأسوى حسابى معهم .

بينوف : اقول لك ان شخصاً ما قتل الرجل العجوز .

(**تهدأ الضجة فوق المسرح كنار ينصب فوقها فيضان من الماء . تسمع ملاحظات متفرقة فى اصوات مكتومة . « صحيح ؟ » . « هنا محزن » . « لنبتعد عن هنا » . « حاسب » « لنهرب قبل ان تاتى الشرطة » . يتضاءل عددهم . يندفع بينوف والتترى وناستيا وكڤاشنيا الى جثمان كوستليوف**)

ڤاسيليسا : (**تنهض من على الأرض وتصيح فى انتصار**) **لقد قتل ! هذا هو الرجل الذى قتل زوجى . ڤاسيا ! لقد رأيت ذلك بنفسى . رايته يا جماعة ! ڤاسيا ؟** سيأتى الشرطة فى طلبك . هه ؟

پيل : **(يترك جانب ناتاشا)** دعوني أمر . ابعدوا عن طريقي **(يلقى نظرة على الرجل العجوز ثم يلتفت الى فاسيليسا)** مات ! السافل ! اذن فقد تحقق لك ما أردت ! ممم ! فلأقتلك انت أيضاً ! **(يلقى بنفسه عليها . ولكن ساتين وزوب يسارعان باعتراض طريقه . تجرى فاسيليسا الى الممر)** .

ساتين : فكر فيما تفعل !

زوب : على مهلك !

فاسيليسا : **(تظهر ثانية)** لا مفر لك من مصيرك يا صديقى فاسيا ! الشرطة ! ابرام ، انفخ فى صفارتك .

ميدفيديف : هؤلاء الشياطين ، خطفوا صفارتى .

اليوشكا : هذه هى **(ينفخ فى الصفارة فيجرى نحوه ميدفيديف)** .

ساتين : **(يقود پيل الى ناتاشا)** لا تشغل بالك كثيراً يا فاسيا . أنت قتلته فى معركة . هذا لا شىء . لن يكلفك غالياً .

فاسيليسا : امسكوا فاسيا . هو الذى قتله . أنا رأيته يقتله .

ساتين : أنا نفسى ضربته ثلاث أو أربع مرات . لم يكن القضاء عليه يحتاج الى مجهود كبير . سأكون شاهداً يا فاسيا .

پيل : لا أريد أن أتملص من الجريمة . أريد أن أجر فاسيليسا فيها . وسأجرها ، بعون الله . هذا

هو ما كانت تريده . لقد أغرتنى على أن أقتل زوجها . أغرتنى بذلك .

ناتاشا : **(فجأة بصوت عال)** آه ! ... فهمت الآن . هذا هو السر اذن يا فاسيا . ما أطيبكما ! لقد فعلتما ذلك معاً ! دبرتما الأمر معاً . لذلك كنت تتحدث معى الليلة ؟ لكى تسمع هى ؟ ما اطيبكما ! هى عشيقتك . كلهم يعرفون ذلك . هى ... هى اغرته بقتل زوجها . كان يقف فى طريقهما . وانا كنت اقف فى طريقهما . ولذلك جعلونى كسيحة .

پيل : ناتاشا ! ما هذا الذى تقولين ؟

ساتين : مسكين !

فاسيليسا : كذابة ! انها تكذب ! ... هو القاتل ! فاسيا هو الذى قتله .

ناتاشا : قتلاه معاً ! عليكما اللعنة ! أنتما معاً !

ساتين : هذه مكيدة . احذر يا فاسيا . سيضعان الحبل حول عنقك قبل أن تدرى .

زوب : لا أستطيع أن أفهم شيئاً .

پيل : ناتاشا ! هل أنت حقاً ... ؟ هل أنت جادة ؟ كيف يمكن أن تظنى أننى ... أنا ... معها ...

ساتين : فكرى فيما تقولين يا ناتاشا .

فاسيليسا : **(عند الممر)** قتلوا زوجى يا سيدى . فاسيا پيل ، اللص ، هو الذى قتله . أنا رأيته ياسيادة المفتش. كلهم رأوه .

ناتاشا : **(تترنح فى المكان فى شبه غيبوبة)** أختى وڤاسيليا بيل هما اللذان قتلاه . استمع . استمع الى يا سيادة المفتش . أختى ... هى التى رسمت له الخطة . هى التى أغرته بذلك . هو عشيقها . هذا هو ، ملعون النفس . قتلاه . خذهما معاً . خذهما الى السجن . وخذنى ايضاً . ضعنى فى السجن . محبة فى المسيح ، ضعنى فى السجن .

ســتار

الفصل الرابع

(المنظر هو المنظر الأول نفسه ، فيما عدا اختفاء الحاجـز الذى كان يكوّن غرفة پل ، وسـندان كليش . التترى ينقلب ويتوجع فوق مصطبة فى الركن الذى كان من قبل غـرفة پل . يجلس كليش الى المـائدة يصلح آلة أكورديون ، وهـو يجرب المفاتيح من آن لآخر . عند الطرف الآخر من المـائدة يجلس ساتين والبارون وناسـتيا . أمامهم زجاجة فودكا وثلاث زجاجات بيرة وبعض الخبز الأسود . الممثل يروح ويجيء وهو يسعل فوق الفرن . الوقت ليل . يضيء المسرح مصباح موضـوع فى وسط المـائدة . الريح تعصف فى الخارج) .

كليش : اختفى وسط الزحام والضجيج !

البارون : تخلص من الشرطة كما يتخلص النار من الدخان !

ساتين : أو الخبيث من الطيب .

ناستيا : كان عجـوزاً طيبـاً . أما أنتم ... أنتم لستم بشراً . أنتم حثالة !

البارون : **(وهو يشرب)** فى صحتك يا سيدتى الجميلة .

ساتين : كان غريب الشأن . هذه ناستيا ، لقد وقعت فى غرامه .

ناستيا : نعم . وقعت فى غرامه . هذا حق . كان يرى كل شىء ويفهم كل شىء .

ساتين : **(ضاحكاً)** كان كالشريد للأهتم .

البارون : **(ضاحكاً)** أو كالشريط اللاصق على الدمامل .

كليش : كان شفوقاً ... أما أنتم ... أنتم لا تعرفون ما هى الشفقة !

ساتين : ما هو الخير الذى يعود عليك من شفقتى ؟

كليش : أنا لا أقصدك . فأنت لا تشفق على الناس ولكنك على الأقل تبقى على مشاعرهم .

التترى : **(يجلس على احدى المصاطب ويهدهد ذراعه المتورمة كما لو كانت طفلا)** كان عجوزا طيباً . كان يعرف شريعة الروح . ومن يعرف شريعة الروح فهو طيب . أما من لا يعرفها ... فهو لا يعرف نفسه .

البارون : أية شريعة يا حسن ؟

التترى : هذه شريعة مختلفة . أنت تعرف ما أعنى .

البارون : ثم ماذا ؟

التترى : لا تؤذ الناس . هذه شريعة .

ساتين : هذا اسمه « قانون العقوبات للمجرمين والكفرة » .

البارون : وهناك « لائحة العقوبات التى يفرضها قضاة محاكم الصلح » .

التترى : القرآن شريعة . وقرآنكم هو الآخر شريعة . لابد أن يكون لكل نفس قرآن . نعم !

كليش : **(يحاول عزف الأكورديون)** أعزف عليك اللعنة ! ما يقوله التترى صحيح . لابد للناس أن يعيشوا وفقاً للقانون . وفقاً للانجيل .

ساتين : ولماذا لا تفعل أنت ؟

البارون : حاول .

التترى : محمد أبلغنا القرآن وقال : هذه هى الشريعة ! افعلوا ما تأمركم به . ثم جاء وقت ... لم يكن فيه القرآن كافياً . عصر جديد ... قانون جديد . كل عصر جديد بقانون جديد .

ساتين : أنت على حق . اليوم جاء وقت «قانون العقوبات» . قانون جيد صارم . سأستغرق وقتاً طويلا فى استهلاك هذا القانون .

ناستيا : **(تضرب المائدة بالزجاجة)** لماذا ... لماذا أستمر فى الحياة هنا معكم جميعاً ؟ سأرحل ... الى أى مكان ... الى أقصى الأرض .

البارون : حافية القدمين يا سيدتى الجميلة ؟

ناستيا : عارية ! زاحفة على أربع !

البارون : منظر رائع يا سيدتى الجميلة . تصوروا هذا ! على أربع !

ناستيا : نعم ، سأرحل . سأذهب الى أى مكان حتى أبتعد عن وجوهكم . لو عرفتم كم سئمت كل شىء ! كل شخص وكل شىء .

ساتين : خذى الممثل معك عندما ترحلين . فهو يفكر فى القيام برحلة كهذه . لقد اكتشف أنه على بعد نصف ميل من أقصى الأرض يوجد مستشفى لن تسمم منسوجات جسمه .

الممثل : **(يطل برأسه فوق حافة المصطبة من على الفرن)** أنسجة جسمه يا مغفل !

ساتين : لن تسمم نسيج جسمه بالكحول .

الممثل : سيرحل . اطمئنوا . سيرحل . سترون .

البارون : من هو يا سيدى ؟

الممثل : أنا !

البارون : شكراً يا خادم ربة الـ ... ما اسمها ؟ ربة الدرامة ، المأساة ، ما اسمها ؟

الممثل : عروس يا أبله . ليست ربة بل عروساً !

ساتين : لاخيسيس ؟ هيرا ؟ افروديت ؟ اتروبوس ؟ الشيطان وحده يعرف اسمها . كل هذا من فعل ذلك العجوز يا بارون . هو الذى بث القلق والحيرة فى نفس الممثل .

البارون : هذا العجوز مهووس .

الممثل : يا جهلة ! يا همج ! عروس التراجيديا هى « ميلبومينيه » ! أوه ، هو راحل ، ما فى ذلك شك . أنتم مخلوقات لا قلب لها . « كلى بعضك أيتها العقول المغلقة » . هذا من شعر «بيرانچيه» . سيجد مكاناً لنفسه حيث لا ... لا ...

البارون : لا شىء يا سيدى .

الممثل : نعم ، هذا هو . لا شىء . « هذا الجحر المتثائب سيكون قبرى . هذا الاطار الضائع لا تستطيع يد أن تنقذه » . وما الذى يجعلكم تواصلون الحياة ؟ لماذا ؟ لماذا ؟

البارون : هيه ... أنت أيها الممثل العبقرى . كف عن الصياح .

الممثل : سأصيح كما يحلو لى .

ناستيا : **(ترفع رأسها من على المائدة وتطوح يديها)** استمر فى الصياح ، حتى يستمعوا اليك .

البارون : وما فائدة ذلك يا سيدتى الجميلة ؟

ساتين : دعهم فى حالهم يا بارون . فليذهبوا الى جهنم ! دعهم يصيحون . ستنفلق ادمغتهم . المهم هو الا تتدخل فى شئون الناس كما قال العجوز . انه هو الذى دخل هنا كالخميرة فاختمرت هذه الأفكار فى عقول زملائنا فى السكن .

كليش : لقد أوهمهم بوجود اماكن رائعة ، ثم تسلل راحلا دون أن يدلهم على الطريق اليها .

البارون : ذلك العجوز كان مزيفاً .

ناستيا : أنت نفسك مزيف .

البارون : اخرسى يا سيدتى الجميلة !

كليش : اما عن الحق ، فلم يكن العجوز يعرفه . كان يضمر

أشد العداء للحق ، وكان حرياً به أن يكون كذلك . فانت اذا فكرت فى الأمر ما وجدت ما يدعو الى الحديث عن الحق . فالحياة شاقة بما فيه الكفاية بدون الحق . خذ هذا التترى مثلا ... لقد كسر ذراعه فى العمل ... ولابد الآن من بترها . هذا هو الحق الذى تتحدثون عنه .

ساتين : **(يضرب المائدة بيده)** اسكتوا ! يا بهائم ! يا اغبياء ! كفاكم حديثاً عن العجوز ! **(بهدوء)** وانت يا بارون أسواهم . أنت لا تفهم شيئاً . وأنت تكذب . لم يكن العجوز مزيفاً . ما هو الحق ؟ الانسان ! هذا هو الحق . كان يعرف ذلك ، اما أنت فلا تعرفه . عقولكم كالطوب . أنا أفهمه . طبعاً كان يكذب ، ولكنه كان يكذب شفقة بكم يا اخوة الشيطان . كثير من الناس يكذبون شفقة باخوانهم . أعرف هذا . لقد قرأت كثيراً من الكتب. وهى تكذب كذباً رائعا مصدره الوحى ، فتثير نفوسكم . ومن الكذب ما يبعث فى النفس العزاء ، ما يجعل الانسان يقنع بنصيبه فى الحياة . الكذب يبحث عن عذر لكسر ذراع العامل . الكذب يلوم الرجل على موته جوعاً . أنا أعرف كذبكم . ذوو القلوب الضعيفة أو من يعيشون على حساب غيرهم هم وحدهم الذين يحتاجون الى الكذب .

بعض الناس يعيشون على الكذب ، وبعضهم يختفى وراءه . اما الرجل الذى يتولى أمر نفسه ... الرجل الذى يعتمد على نفسه والذى لايمتص دماء الآخرين ... ما حاجته الى الكذب ؟ الكذب دين الأرقاء والرؤساء . أما الصدق فهو اله الرجل الحر !

البارون : براڤو ! احسنت ! اوافق على كل ما قلت . انت تتكلم ك ... كچنتلمان محترم .

ساتين : ولماذا لا يتكلم الغشاش أحياناً كچنتلمان محترم مادام الچنتلمان المحترم يتكلم غالباً كالغشاش . لقد نسيت الكثير ولكننى ما زلت اتذكر بعض الأمور . ذلك الرجل العجوز كان ذكياً . كان يعاملنى كما لو كان هو حمضاً وانا عملة قديمة قذرة . فلنشرب نخب صحته ! املئى كأسى .

تملأ ناستيا كأس ساتين بالبيرة
ثم تناولها له)

ساتين : **(بعد ضحكة قصيرة)** ذلك العجوز يعيش بذكائه . يرى كل شىء بعينيه النفاذتين . اذكر اننى سألته يوماً « قل لى يا جدى : لماذا يعيش الناس ؟ » **(يقلد صوت لوكا وحركاته)** « يعيشون لكى يجعلوا الحياة أفضل مما هى عليه يا صديقى . لنفرض مثلا ان لدينا عدداً من النجارين ...

حثالة ... كلهم . ثم ولد لهم من بينهم نجار لم تشهد له الأرض أبداً مثيلا . نوره يحجب أنوار الآخرين ، ولا يستطيع أحدهم أن يمسك له حتى بشمعة . هذا النجـار لابد أن يترك أثره فى كل عمل يقوم به من اعمال النجـارة حتى ان مهنة النجـارة تتقـدم الى الأمام عشرين عاماً دفعـة واحدة . وكذلك الحال مع جميع أصحاب المهن الأخرى : سمكرية ، واسكافية ، وكل العمـال ، وكل الفلاحين أيضاً ... بل حتى السادة . كلهم يعيشون ليجعلوا الحياة أفضل ممـا هى عليه . وكل واحد منهم يظن انه انمـا يعيش لنفسه ، بينما الواقع انه يعيش لكى يجعل الحياة أفضل . يعيشون مائة عام ، وقد يعيشون اطـول ، وكل ذلك لكى يجعلوا الحياة أفضل » .

(تمعن ناستيا البصر فى ساتين . كليش هو الآخـر يتوقف عن العمـل فى الأكـورديون ويصغى . تسقط رأس البارون الى صدره وينقر بأصـابعه على المـائدة برقة . ينزل الممثل بهـدوء من فوق الفـرن الى احـدى المصاطب)

ساتين : « كلهم يا صديقى الطيب ، الى آخر واحد منهم ، يعيشون ليجعلوا الحياة افضـل » . هكذا يقول

العجـوز . « يجب ان يحـترم كل منـا مشاعر الآخر . فليس لنـا ان نعـرف من يكون هـذا الشخص ، ولماذا ولد ، وماذا يستطيع أن يفعل . لعله ولد لما فيه خـيرنا ، ليكون عوناً كبيراً لنا . والأطفال بوجه خاص هم الذين يجب ان يظفروا باحترامنا ... الصغار . فهم يريدون الحرية .. الصغار . يجب الا نعترض طريقهم . يجب ان نفهمهم ونحترم مشاعرهم » .

(يضحك ضحكاً رقيقاً)

(صمت)

البارون : **(مسـتغرقاً فى التـأمل)** ممم ! ليجعلوا الحيـاة افضل ! هـذا يذكرنى بأسرتى ... أسرة عريقة ... يرجع تاريخها الى عهد الامبراطورة كاترين . نبلاء محـاربون . جاءوا من فرنسا . خـدموا القيصر وظل نجمهم دائماً فى صعود . فى عهـد القيصر نقولا الأول كان جدى جوسـتاف ديبيل يشغل منصباً رفيعاً . ثروة ، مئات من العبيد ، جياد ، خدم ، ...

ناستيا : كذاب ! كل هذا كذب !

البارون : **(يقفز)** ماذا ؟

ناستيا : كل هذا فشر !

البارون : **(صائحاً)** قصر فى موسكو ! قصر فى بطرسبرج ! عربات تحمل شعار أسرتنا !

(يتنــاول كليش الأكورديون وينتحى جانباً يشرف منه على المنظر)

ناستيا : كلام فارغ !

البارون : اخرسى . دستة من الخدم .

ناستيا : **(مسرورة)** فشار !

البارون : سأقتلك !

ناستيا : **(توشك أن تهرب)** لم تكن لديك عربة أبداً !

ساتين : كفى يا ناستيا . لا تجعليه يجن .

البارون : انتظرى يا قذرة . كان جدى . . .

ناستيا : ما كان لك جد أبداً ! ما كان لك شيء بالمرة !

(ساتين يضحك)

البارون : **(يغــوص فوق دكة وقد أنهكه الغضب)** قل لها يا ســاتين . . . قل لهذه الـكلبة . . . أم هــل تضحك أنت الآخــر ؟ أنت أيضاً لا تصــدق ؟ **(يصيح فى يأس وهو يدق المــائده بقبضــتيه)** كل ما قلته صحيح ! عليكم لعنة الله !

ناستيا : **(مزهوة)** آها ! أنت الآن تنبح ! هه ! هل علمت الآن انه شيء يبعث على الغيظ اذا لم تجــد من يصدقك ؟

كليش : **(يعود الى المائدة)** كنت واثقاً من نشوب قتال .

التترى : ناس أغبياء ! شيء محزن !

البارون : انا . . . انا لا أقبل أن يســخر منى الناس . انا عندى . . . أستطيع أن ابرهن على ذلك . معى وثائق أيها الشياطين !

ساتين : انسها . وانس كل شيء عن عربات جدك . فلن تجديك شيئاً هذه العربات التى أصبحت فى خبر كان .

البارون : كيف تجرؤ هذه المراة ؟

ناستيا : **(مستهزئة)** هل سمعتم هذا ؟ كيف تجرؤ هذه المراة ؟

ساتين : ولماذا لا تجرؤ ؟ لماذا تكون هى أحط منك ؟ حتى ولم يكن لديها عــربات أبداً فى يوم من الأيام ، ولا جدود ، بل حتى لا أب ولا أم ؟

البارون : **(وقد هدأ قليلا)** فلتذهب الى الشيطان ! انت دائماً تأخذ الأمور بهدوء . انا رجل لا اخلاق له .

ساتين : اذن فاحصل على اخلاق . هذه مســألة سهلة **(صمت)** ناستيا ، هل تذهبين الى المستشفى ؟

ناستيا : لماذا ؟

ساتين : لترى ناتاشا .

ناستيا : انت متأخر . لقد غادرت المستشفى منــذ زمن طويل . غادرته واختفت . ذهبت دون أن تترك أثراً .

ساتين : معنى ذلك . . . أن كلهم ذهبوا .

كليش : يا ترى من الذى سيكون أشد فى الكيل للآخر : ڤاسيا أم ڤاسيليسا ؟

ناستيا : ڤاسيليسا ستتخلص بطريقة ما . انها ماكرة ،

ولكنهم سيرسلون ڤاسيا الى الأشغال الشاقة فى سيبيريا .

ساتين : لا ، سيسجن لارتكابه جريمة قتل أثناء مشاجرة.

ناستيا : مسكين ! يجب ان يبعدوه ... أن يبعدوكم جميعاً . أن يكنسوكم كالزبالة . ان يلقوا بكم فى مستودع القمامة .

ساتين : **(مندهشاً)** ماذا تقولين ؟ هل فقدت عقلك ؟

البارون : سأقرص اذنها .

ناستيا : هيا حاول . المسنى .

البارون : سأحاول .

ساتين : لا. لا تلمسها . يجب الا تؤذى الناس . لاأستطيع ان أبعد العجوز من بالى **(يضحك)** يجب الا تؤذى الناس . طيب ، واذا آذونى هم ... آذونى أذى شديداً لا أبرأ منه؟ ماذا أفعل عندئذ ؟ هل المفروض ان أسامحه ؟ أبداً . لا أسامح أحداً .

البارون : **(الى ناستيا)** لا تنسى انك لست من طبقتى . انت .... أنت حثالة الأرض .

ناستيا : أوه ، أنت قملة ! انت تعيش عالة علىَّ كما تعيش الدودة على التفاحة .

(ينفجر الرجال ضاحكين)

كليش : آه يا مغفلة ! تفاحة !

البارون : كيف يستطيع احد ان يغضب منها ؟ انها بلهاء .

ناستيا : تضحك ، هه ؟ تغش نفسك ! أنت لا تعتقد أن هذه مسألة مضحكة .

الممثل : **(مكتئباً)** ناوليهم !

ناستيا : آه لو كان فى استطاعتى ! اذن لـ ... لـ ... **(تتناول كأساً وتحطمها على الأرض)** لكان هذا ما أفعله بك .

التترى : ولماذا تحطمين الأطباق ؟ امرأة شريرة !

البارون : **(يقف)** الآن سأعلمها بعض الأخلاق .

ناستيا : **(تعدو الى الباب)** اذهب الى الجحيم .

ساتين : **(يناديها)** كفاية ! من تخيفين ؟ علام هذا كله ؟

ناستيا : ذئاب ! أطلب من الله ان تختنقوا ! ذئاب !

الممثل : **(مكتئباً)** آمين !

التترى : أ ... وه . امرأة شريرة ... روسية ! عصبية ! امرأة على كيفها ! المرأة التترية لا تفعل هذا . المرأة التترية تعرف القانون .

كليش : هى تريد علقة حامية .

البارون : القذرة !

كليش : **(يجرب الأكورديون)** تم اصلاحه . ولكن صاحبه لا يأتى ليتسلمه .

ساتين : خذ كأساً .

كليش : شكراً . حان وقت النوم .

ساتين : هل تعودت علينا ؟

كليش : (**يشرب ، ثم يتجه الى أحدى المصاطب فى ركن الغرفة**) أظن هذا . سرعان ما يتضح أن البشر موجودون فى كل مكان . ذلك أمر لا تلحظه فى البداية ، فاذا القيت نظرةاخرى اذا بك تجدهم .. بشراً .

(**يبسط التترى قطعة قماش فوق مصطبته ، ثم يبدأ فى الصلاة**)

البارون : (**يشير الى التترى ويخاطب ساتين**) انظر الى هـذا .

ساتين : اتركه فى حاله . هو رجل طيب . لا تزعجه (**يضحك**) لماذا انا طيب القلب اليوم ؟

البارون : انت دائماً تكون طيب القلب عندما تشرب ... وتكون بارعاً أيضاً .

ساتين : عندما اكون سكران يبدو لى كل شىء فى لون الورد . هو يصلى ؟ حسن . من حق الشخص أن يكون مؤمناً او لا يكون ، حسبما يشاء . هذا شأنه . كل شخص حر فى اختياره . هو يدفع الثمن بنفسه : ثمن الايمان ، وعدم الايمان ، والحب ، والذكاء . كل شخص يدفع ثمن كل شىء بنفسه ، ولذلك فهو حر . ايها الانسان... هذا هو الحق ! ما الانسان ؟ لا أنت ، ولا انا ، ولا هو . لا . بل أنت وانا وهو والرجل العجوز ونابليون ومحمد ...

كلهم فى واحد ! (**يرسم شخص رجل فى الهواء**) هل فهمت ؟ هذا أمر جلل ! هذه حقيقة تتضمن كل البدايات وكل النهايات . كل الأشياء جزء من الانسان . كل الأشياء من أجل الانسان . الانسان هو وحده الكائن . وكل ما عداه هو من صنع يديه وعقله . ما أروع الانسان ! ما أشد ما فى رنين هذه الكلمة من كبرياء ... الانسان ! لابد ان يكون الانسان موضع احترام لا موضع شفقة . فالشفقة مهينة . لابد أن يكون محترماً (**يا بارون**) لنشرب نخب الانسان ! (**يقف**) ما أطيب أن يشعر الشخص بأنه انسان ! هأنذا... مجرم سابق ، قاتل، غشاش، لاعب قمار .. الى آخره . عندما امشى فى الشارع يظن الناس اننى لص . فينتحون جانباً ويختلسون النظرات الىّ . وغالباً ما يقولون لى يا وغد ، يا مزيف ! يقولون لى « اشتغل » . أشتغل ؟ لماذا ؟ لأملأ معدتى ؟ (**يضحك**) انا دائماً أمقت هؤلاء الذين يفكرون كثيراً فى معداتهم . ليست المعدة هى كل شىء يا بارون . أبداً . الانسان أسمى من ذلك . الانسان أسمى من معدته .

البارون : (**يهز رأسه**) براعة منك أن تجهر بهذه الأفكار . لابد أن ذلك يبعث الدفء فى قلبك . أما انا ...

فلا أستطيع . لا أدرى كيف **(يتلفت حوله ويتكلم وهو يلهث)** أشعر بالخوف فى بعض الأحيان . فاهم ؟ بالخوف . أظل أقول لنفسى ... ماذا سيحدث بعد ذلك ؟

ساتين : **(يذرع الغرفة)** كلام فارغ ! ما الذى يخشاه الانسان ؟

البارون : منذ أن بدأت ذاكرتى تعى ، وأنا أذكر أن رأسى يخيم فيها نوع من الضباب . لم أكن أستطيع أن أفهم شيئاً أبدا . أنا ... هذا غريب ، ولكن ... يبدو لى أن كل ما أفعله هو أن أغير ملابسى طول حياتى . لماذا ؟ لا أستطيع أن أعرف . أولا ، كنت تلميذاً ، فكنت أرتدى الزى الخاص بأبناء النبلاء . ماذا علمونى ؟ لا أتذكر . ثم تزوجت . ارتديت بدلة سهرة ثم الروب . ولكن الزوجة التىاخترتها كانت شريرة . لماذا تزوجتها ؟ لا أتذكر . ثم بددت كل ثروتى ... لبست جاكتة رمادية وبنطلوناً باهتاً . كيف فقدت كلشىء ؟ لا أتذكر . واشتغلت فى الحكومة . زى رسمى من جديد ، وقبعة عليها الشارة الحكومية . واختلست أموال الحكومة فلبست ملابس السجن . وبعد ذلك لبست هذه الخرق . هذا كل ما فى الأمر . كالحلم ، هه ؟ بل هى حتى مسألة مضحكة .

ساتين : ليست مضحكة جداً . بل هى سخيفة أكثر منها مضحكة .

البارون : هى كذلك . أنا أيضاً أظنها سخيفة . مهما تكن الحال ، فلابد أن أكون قد وُلدت لغرض .

ساتين : **(فى ضحكة قصيرة)** لابد . « يولد الانسان ليجعل الحياة أفضل » **(يومىء برأسه)** كلام طيب .

البارون : هذه الملعونة ناستيا ! الى أين هربت ؟ سأذهب لأرى . مهما تكن الحال ، فهى ... **(يخرج . صمت)**

الممثل : يا تترى ! **(صمت)** يا حسن !

(يدير التترى رأسه)

الممثل : أدع لى .

التترى : ماذا ؟

الممثل : **(فى رجاء)** ادع لى .

التترى : **(بعد صمت)** ادع أنت لنفسك .

الممثل : **(يهبط بسرعة من فوق الفرن ، ويتجه نحو المائدة ، ويصب لنفسه كأساً من الفودكا بيدين مرتعشتين . ثم يبتلع الكأس ويخرج الى الردهة وهو يكاد يجرى)** أنا راحل !

ساتين : هيه ... أنت ! يا ممثل العصر ! الى أين تذهب ؟

(صفير . يدخل ببنوف وميدفيديف. الأخير يرتدى جاكتة نسائية مبطنة بالقطن . كلاهما فى حالة سكر خفيف . يحمل ببنوف فى احدى يديه خيطاً به

سميط جاف ، وفى اليد الأخرى سمكتان مدخنتان . تحت ابطه زجاجة فودكا ، بينما تبرز زجاجة أخرى من جيب معطفه)

ميدفيديف : الجمل شبيه بالحمار ، الا أنه بدون أذنين .

بينوف : أنت نفسك شبيه بالحمار .

ميدفيديف : الجمل لا آذان له أبداً . فهو يسمع بأنفه .

بينوف : **(الى ساتين)** انت هنا يا صديقى . لقد بحثت عنك فى البارات . خذ هذه الزجاجة . كل أياديّ مشغولة .

ساتين : ضع هذا السميط على المائدة حتى تخلو احدى يديك .

بينوف : صحيح ! أنظر اليه . نبيه ، هه ؟

ميدفيديف : كل الغشاشين يمتازون بالنباهة . لا يمكن أن يعيشوا اذا لم يكونوا كذلك . يستطيع الرجل الطيب أن يكون غبياً ، أما الشرير فلابد أن يكون نبيهاً . ولكن اسمع ... كل ما قلته عن الجمل خطأ . الجمل دابة من دواب الحمل . لا قرون له ، ولا أسنان ...

بينوف : أين الناس ؟ لماذا لا أرى أحداً هنا ؟ هيه ... اظهروا . أنا الذى سأحتفل بكم . من هذا الذى فى الركن ؟

ساتين : كم من الزمن سيمضى قبل ان تصرف فى الخمر آخر كوبك ، انت يا خيال المآتة ؟

بينوف : زمن غير طويل . فان ما ادخرته فى هذه المرة ليس كثيراً . زوب ! أين زوب ؟

كليش : **(يأتى الى المائدة)** رحل .

بينوف : جررررر ! انت ياكلب ! هاو ! هاو ! لا نباح . اشرب يا غبى . لا تقف هكذا معلق الراس . سأحتفل بكم الليلة . كم احب هذا ! لو كنت غنياً ، لفتحت باراً وقدمت المشروبات مجاناً . اقسم لكم بالله ! مع الموسيقى والغناء . ولكنت دعوت الجميع للأكل والشرب والاستمتاع بالموسيقى حتى تطمئن نفوسكم وتهدأ . لا نقود معكم ؟ اذن فاليكم البار المجانى . أما انت يا ساتين ... كنت أعطيك فوق كل هذا نصف ما معى من نقود . هذا ما كنت أفعله .

ساتين : بل اعطنى نقودك كلها ... الآن ... فى هذه اللحظة .

بينوف : كل ما معى ؟ فى هذه اللحظة ! هاه ! هذه هى ... روبل ... اثنان ... عشرون كوپك ...

ساتين : كفاية . انها معى فى أمان . سأقامر بها .

ميدفيديف : انا شاهد على أنه اخذ هذا المال لحفظه وديعة . كم ؟

بينوف : انت ؟ انت جمل . لسنا فى حاجة الى شهود .

اليوشكا : (**يدخل حافى القدمين**) يا جماعة . قدماى مبلولتان .

بينوف : تعال . بل زورك . هذا كل ما انت فى حاجة اليه . غناؤك وعزفك لابأس بهما يا عزيزى . أما شربك ... فهذا به بأس . هذا مضر يا أخى . الشرب مضر .

اليوشكا : انت قدوة طيبة . فأنت لاتبدو أبداً انساناً الا عندما تكون سكران . كليش ! هل الأكورديون جاهز ؟

(يغنى ويرقص)

لو كان وشى وحش
زى وش القملة
ما كانت حبيبتى
حبتنى ولا ليلة .

. انا بردان يا اخوانى . انا أتجمد .

ميدڤيديف : هل تسمح لى ان أسألك اين حبيبتك ؟

بينوف : دعه وحده . كن فى حالك انت . انت لست الآن شرطياً ، لا شرطياً ولا خالا .

اليوشكا : انما انت زوج الخالة .

بينوف : احدى بنات اختك فى السجن ، والأخرى تحتضر .

ميدڤيديف : هذا كذب . انها لا تحتضر . كل ما حدث انها اختفت .

(يضحك ساتين)

بينوف : وما الفرق ؟ اذا فقدت ابنتى اختك لم تعد خالا .

اليوشكا : **(يغنى)** .

الست معاها فلوس
وأنا مفلس خالص
وأنا برده مبسوط
وشايف كيفى خالص .

لعنة الله على هذا البرد !

(يدخل كريفوى زوب . وفى خلال ما بقى من الفصل يدخل رجال ونساء آخرون . يخلعون ملابسهم ويرقدون متضجرين على المصاطب)

زوب : لماذا هربت يا بينوف ؟

بينوف : تعال هنا . اجلس ولنغن . أغنيتى المفضلة ، هه ؟

التترى : لابد ان ننام بالليل . الغناء بالنهار .

ساتين : لا بأس يا حسن . تعال هنا .

التترى : ماذا تعنى بقولك لا بأس ؟ هذه ضجة . عندما تغنون تحدثون ضجة كبيرة .

بينوف : (**يتجه نحوه**) كيف ذراعك يا حسن ؟ هل بتروها ؟

التترى : لماذا ؟ سأنتظر . فقد لا تستدعى الحاجة قطعها . ليست ذراعى من الحديد الخردة . ستقطع بسهولة عندما يجيىء الوقت .

زوب : انت انتهيت يا حسن . لم تعد تصلح لشىء بذراع واحدة . فان أمثالنا من الناس تقدر قيمتهم بقيمة أذرعهم وظهورهم . لا ذراع ، لا رجل . انتهى . هيا ، اشرب كأساً وانس كل شىء .

كفاشنيا : **(داخلا)** سعيدة يا اخوان . يا له من جو ! برد ووحل . هل زوجى الشرطى هنا ؟

ميدڤيديف : أنا هنا .

كفاشنيا : آه . لقد أخذت جاكتتى مرة أخرى . ويظهر انك شربت كأساً أو اثنين ، هه ؟ لماذا فعلت ذلك ؟

ميدڤيديف : بمناسبة عيد ميلاد بينوف ... والبرد ... والوحل ...

كفاشنيا : امش على مهلك . الوحل ! لا تترنح كالقرد . هيا الى السرير .

ميدڤيديف : **(متجها الى المطبخ)** أنا فعلا فى حاجة الى النوم . حان الوقت .

ساتين : ألست تعاملينه معاملة شديدة ؟

كفاشنيا : هذه هى الطريقة الوحيدة يا صديقى . لابد من الحزم مع رجل كهذا . عندما أخذته ليعيش معى قلت لنفسى : لعلى أجد فيه بعض الخير ، فهو من

رجال الشرطة وأنتم مجموعة من السكيرين ، وانا امرأة مسكينة لا تستطيع الدفاع عن نفسها ، ولكنه بدأ فى الشرب على الفور . لا يمكن أن أقبل شيئاً كهذا .

ساتين : جبتك يا عبد المعين تعيننى ...

كفاشنيا : لم أجد رجلا أفضل منه . فأنت ما كنت لتعيش معى ... وانت نفسك كبيرة هكذا . وحتى اذا عشت معى ، فلم يكن ذلك ليدوم اكثر من أسبوع . كنت ستلعب بى القمار فتخسرنى أنا وكل ما أملك .

ساتين : **(ضاحكا)** أنت على حق يا مرأة . كنت أخسرك فى القمار بدون شك .

كفاشنيا : هل رأيت ؟ اليوشكا !

اليوشكا : أنا هنا .

كفاشنيا : ما هذه الاشاعات التى تطلقها عنى ؟

اليوشكا : ما هى الا الحقيقة . قلت له لقد تزوجت امراة عظيمة . امرأة هائلة . كتلة من اللحم والشحم والعظم بدون مخ .

كفاشنيا : هذا كذب . أنا مخى كبير جداً . ولكن لماذا قلت اننى ضربت زوجى الشرطى ؟

اليوشكا : ظننت أنك لابد أن تكونى ضربته علقة يوم أن جرجرته من شعره .

كفاشنيا : **(ضاحكة)** أحمق ! كان يجب أن تتظاهر بأنك لم تر شيئاً . لماذا ينشر الانسان غسيله القذر حتى يراه كل الناس ؟ ثم انك جرحت احساسه . لقد أدمن الخمر بسبب كلامكم هذا .

اليوشكا : هذا مصداق المثل : حتى الفراخ تشرب .

(ساتين وكليش يضحكان)

كفاشنيا : ما أطول لسانك ! أى نوع من الناس أنت يا أليوشكا ؟

أليوشكا : أحسن واحد فى الدنيا ! أنا أجرب كل شىء ، وأمشى وراء أنفى أينما مشت .

ببنوف : **(بجانب مصطبة التترى)** تعال . لن نعطيك فرصة لتنام على أى حال . سنغنى طول الليل . زوب .

زوب : نغنى ؟ ولماذا لا ؟

اليوشكا : وسأعزف لكم .

ساتين : سنرى كيف .

التترى : **(مبتسماً)** يا شيطان ببنو ، هات الخمر . سنشرب . ونقضى وقتاً طيباً . سنموت يوماً ما .

ببنوف : املأ كأسه يا ساتين ! اجلس يا زوب ! ليس كثيراً هذا الذى يطلبه زميل لكم يا أصدقائى . هأنذا والخمر فى جوفى ، أسعد ما أكون . زوب ، ابدأ!

الأغنية ... أغنيتى المفضلة . سأغنى ... بأعلى صوتى ...

زوب : **(يغنى)** .

كل يوم الشمس تظهر

ببنوف : **(ينضم اليه)** .

وزنزانتى كئيبة وسودة

(على حين فجاة ينفتح الباب بعنف)

البارون : **(يصيح وهو بالباب)** هيه يا جماعة ! تعالوا . تعالوا بسرعة . الممثل شنق نفسه . هناك فى الأرض الفضاء .

(سكون . ينظر الجميع الى البارون . تظهر ناستيا خلفه وتمشى على مهل نحو المائدة وقد اتسعت عيناها)

ساتين : **(بصوت منخفض)** تك ! أفسد الأغنية ، هذا الأحمق !

ستار الختام